في القصة السورية المعاصرة

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

التأليف القصصي السوري اليوم في ازدهار ملموس كميا وكيفيا ، كميا هو في ازدياد ، ويفوق تقريبا اليوم ضعفي الانتاج الشعري السوري ، وكيفيا هو في تحسن مطرد ، في حين ان الشعر السوري اليوم في تقهقر نسبي .. اما التأليف المسرحي في سورية فلا يزال قليلا ، رغم التشجيع الرسمي ، والشعبي عليه ، والجيد فيه نادر ..

ولسنا نستطيع اليوم ان نقول ان الدراسة الادبية، او ايضا النقد الادبي يواكبان هذا التأليف القصصي السوري ، ذلك ان الدراسة الادبية للقصة الى اليوم مفتقدة في سورية .. وكنت اصدرت عام ١٩٦٦ كتابي « ادب القصة في سورية » وقدمه الرائد القصصي الكبير، المرحوم فؤاد الشايب ، وهو الكتاب الثاني الجامع في تاريخ الدراسة الادبية (١) للقصة في سورية بعد كتاب شاكر مصطفى ، محاضرات في القصة في سورية حتى الحرب العالمية الثانية ، ويرجع الى عام ١٩٥٨ .. ثم لم تصدر بعد ذلك ، الى الآن اية دراسة جامعة عن القصة السورية ، وما انجز كدراسات جامعية ، مثل دراسة نعيم اليافي في القصة القصيرة في الادب الشامي ، وهي رسالة ماجستير قدمت الى جامعة القاهرة عام ١٩٦٤ ، او دراسة حسام الخطيب عن تفسيرات للتأليف القصصي في سورية ، وقدمت الى جامعة لندن عام ١٩٧٠ ، كل ذلك لا يزال مخطوطا ، في حين نشر مؤخرا الدكتور عمر الدقاق لمحات تاريخية ونقدية عن القصة السورية في كتابه النقدي عن فنون الادب المعاصر ..

ومع ذلك المحاولات المستمرة في النقد الادبي للتأليف القصصي الحديث ، او البحوث الادبية في القصة السورية التي تنشر في الصحف والمجلات تجهد بين الفينة والفينة للتاريخ للقصة السورية ، او تقييمها ، وتبين مراحلها وخصائصها ..

وقد طلع الدكتور حسام الخطيب مؤخرا برأي عن القصة السورية ، ومراحل نشوئها وتكونها ، نثبته هنا ، ونرد عليه، قبل الحديث في مجموعتين قصصيتين بارزتين ظهرتا حديثا لرائدين معاصرين في القصة السورية ، احداهما : « فارس مدينة القنطرة » لعبد السلام العجيلي ، والاخرى « الوليمة » لاسكندر لوقا ، لعل في عرض هذا الرأي ، والرد عليه ما يقدم لفهم فنية المجموعتين المذكورتين .

يذهب الدكتور حسام الخطيب ، وهو فلسطيني يقطن حاليا في الاردن الى ان القصة السورية من حيث تطورها الفني تقسم الى ثلاث مراحل (٢) :

١ ــ المرحلة الاولى (أمطلع الثلاثينيات حتى بداية عام ١٩٥٠) وفيها ظهرت بواكير النثر القصصي ، كما يقول ..

٢ ــ المرحلة الثانية (١٩٥٠ ــ ١٩٥٨) وهي ، كما يقول ، مرحلة بزوغ القصة القصيرة .

٣ ــ المرحلة الثالثة (١٩٥٨ ــ ١٩٦٥) وهي مرحلة بزوغ الرواية على حد زعمه ، ثم ربط ذلك بتطور الثقافة وتطور المؤثرات الاجنبية في التأليف القصصي ..

وهذا رأي غريب ، وخاطيء ، لا يمكن قبوله هو بالاحرى تهاون في البحث ، لانه تهوين للتأليف القصصي، يغمط حق الابداع القصصي في سورية ، والبلاد العربية ايضا ..

ففي رأي الدكتور حسام الخطيب المحاولات القصصية ، حتى عام ١٩٥٠ ، ولسنا ندري ما هو الاساس الذي ارتكز اليه لتحديد هذا العام دون غيره ؟! هي محاولات نثر قصصي ، على حد قوله .. في حين بزغت القصة القصيرة مع الخمسينيات ، ولسنا ندري كيف ، او لماذا ؟! ثم بزغت الرواية مع الستينيات .. وايضا دون ان يدلل على ذلك او يوضحه ..

والكاتبان الكبيران فؤاد الشايب وشكيب الجابري هما على حد قوله : رائدان من رواد المؤثرات الاجنبية في القصة السورية !! ، وان هذه المؤثرات هي التي انضجت القصة السورية ودفعتها الى الظهور (٣) في فترات متأخرة لا تزال مفتحة الابواب على الثقافة الغربية ، تترجم ، وتقتبس ، وتقلد !. اي ان العامل الفعال في الانضاج ، هو الاثر الغربي (٤) !!

ولكن من المؤسف ان هذا الرأي لا يمكن قبوله لا جملة ولا تفصيلا ، ذلك ان نتاج الرواد الاوائل للقصة السورية في الفترة العثمانية ، او في فترة الانتداب الفرنسي ، شيء من الحياة ، والاصالة ، والابداع ، والفن أيضا ، بحيث هو اكثر من بواكير نثر قصصي ، كما يزعم ، وانما هو على العكس قصص ظاهر الانواع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ــ وكان مما تفضل به المرحوم فؤاد الشايب قوله في الكتاب « .. جاء مرجعا وحيدا في موضوعه ، فهو عمل ادبي نقدي موفق ، ربط فيه الناقد جذور الفن القصصي بتراب الحياة والمجتمع ، وعمق النقد بنظرة الباحث الاجتماعي الذي يحلل عناصر البيئة والعصر والمرحلة التاريخية في تكوين الادب القصصي السوري » .

٢ ــ مقالة « المؤثرات الاجنبية في القصة السورية » لحسام الخطيب ، المعرفة ، فبراير ١٩٧١ ، (ص ٨) .

٣ و ٤ ــ يقول حسام الخطيب شارحا هذه المؤثرات في كل مرحلة من تقسيمه ، المرحلة الاولى ــ كان الكتاب ظامئين للنهل من الثقافة الغربية ومن الطبيعي ان يستهويهم ما هو اقرب الى نفوسهم فاقبلوا اقبالا عظيما على الادب الرومانتيكي ، (ص ١٦) .

والاساليب ، ظاهر الخصائص والمميزات ..

والمعروف ان الفترة العثمانية شهدت جهدا للتأليف القصصي ، وايضا المسرحي ، وذلك على نطاق واسع ليس فقط في سورية ، بل في البلاد العربية الاخرى وخاصة لبنان ومصر ، ونبغ فيها رواد في الفنين مثل بطرس البستاني ، ونعمان القساطلي ، وقسطنطين خوري ، واديب اسحق ، وسليم وحنا عنحوري ، وشكري العسلي وميخائيل الصقال ، وتوما ايوب وغيرهم ..

كما ان فترة الانتداب الفرنسي نفسها تميزت بنوعية ممتازة في التأليف القصصي ، وايضا المسرحي ، ستظل لها اصالتها ، وقيمتها .. وذلك عند علي خلقي الذي اصدر عام ١٩٣١ « ربيع وخريف » وفيها قصص ناضجة تماما ، وفؤاد الشايب الذي اصدر عام ١٩٤٤ « تاريخ جرح » الذي يعتبر بداية عصر القصة الفنية في سورية ، ومعروف الارناؤوط الذي اصدر عام ١٩٢٨ ــ ١٩٢٩ روايته التاريخية الخالدة حقا « سيد قريش » في ثلاثة اجزاء ، واعقبها بروايات تاريخية اخرى تعتبر من اقوى ما كتب في القصص التاريخي الى اليوم ، ثم «قوس قزح» عام ١٩٤٦ وغيرها ..

ناهيك بعشرات من كبار رواد القصة السورية الفنية المميزة الاسلوب والخصائص ، مثل محمد النجار ، ومظفر سلطان ، وسامي كيالي ، وعلي الطنطاوي ، وصلاح المنجد ، وسلمى الحفار ، ووداد سكاكيني ، والفة الادلبي ، وخير الدين الايوبي ، وليان ديراني ، وغيرهم وغيرهم ..

اذا كان يزعم الدكتور حسام الخطيب ان التأليف القصصي حتى الخمسينيات هو بواكير نشر قصصي .. فلسنا ندري ماذا سيقول في راي الاستاذ شاكر مصطفى الذي كان اول من خص القصة السورية بدراسة جامعة ، توقف فيها عند عام ١٩٤٥ ..

ان الاستاذ شاكر مصطفى يقطع ، بل يؤكد ان ما يسميه القصة الفنية ظهرت (٥) حوالي عام ١٩٣٠ في احد اعداد مجلة « الدهور » او « الناقد » او غيرهما ، ويوضح مقصوده من التسمية ، فيقول « لا نقصد بهذه الكلمة لونا خاصا من الوان القصص ، ولا نسلب الفن عن الالوان الاخرى ، وانما نقصد فقط القصة بمعناها الفني الحديث وكلون ادبي خاص » (٦) .

ثم يذكر انه قبل ذلك كانت انواع في القصة (٧) ، هي ما يسميه القصة الرومانتيكية ، والقصة ــ الصورة ، والقصة التاريخية ، ويربط ذلك بالتأليف القصصي العربي في لبنان ، ومصر ، والعراق ، او التأليف القصصي عند المهجريين ..

ويذهب الاستاذ شاكر مصطفى في دراسته الى ان القصة السورية تطورت في فترة ما بين الحربين العالميتين من قصة رومانتيكية ، الى قصة صورة ، او قصة اجتماعية ، الى قصة فنية ، بحيث يكون النوعان السابقان تمهيدا للقصة الفنية في نظره (٨) ، وان القصة التاريخية ظهرت مع القصة الصورة ، الى ما هنالك ..

وكنا رددنا عليه بأننا لا يمكن قبول معتقده في هذا التطور (٩) ، الا اذا كان يقصد منه التشكل ، والاستنزال وليس التبدل او التغيير اللذين يطرأان على الآداب الكبرى فيميزان عصورها ونتاجها .. وذلك من حيث انه لا يعقل ان يتطور الادب القصصي السوري في فترة عشرة اعوام (١٠) مثل هذا التطور ، الذي هو بالاحرى تشكل ، واستنزال ..

ذلك ان التطور في الادب القصصي عندنا يتعلق بالاحرى بمقومات ، وعناصر قصصية ابعد غورا ، لونت وتلون الادب القصصي السوري منذ الثلاثينيات ، وميزت وتميز الانتاج فيه الى واقعي وله انواع اهمها اليوم الوطني ، ووجداني وابرز انواعه الانساني ، ثم الرمزي ، وحاليا القصة القصيرة فيه (١١) ..

والمجموعتان القصصيتان الحديثتان « فارس مدينة القنطرة » للدكتور عبد السلام العجيلي ، وهي مجموعته القصصية العاشرة وله روايةوكتابان من حكايات الاسفار ، ثم « الوليمة » للاستاذ اسكندر لوقا ، وهي ايضا المجموعة القصصية الحادية عشرة له ، كانت كلها قصصا قصيرة وفي معظمها تحليلية .. هما بالفعل تحملان دلائل بارزة مميزة على تجربة القصة السورية المعاصرة ، ومراحلها (١٢) ..

التأليف القصصي عند عبد السلام العجيلي يرجع الى ايام تحصيله الطب في جامعة دمشق ، في اواخر الثلاثينيات واوائل الاربعينيات ، وكان وقتها متفوقا فيه ، ونجح في احدى مسابقات مجلة « الصباح » الدمشقية بقصته الطبية « قطرات دم » التي نجدها في مجموعته القصصية الاولى « بنت الساحرة » التي ترجع الى عام

ثم يضيف ان ادب الكتاب المصريين وقتها ــ يمكن ان يعد رافدا من روافد المؤثرات الاجنبية ، لان ادبهم في تلك المرحلة كان نسخة محورة عن الآداب الاوروبية ، ولا سيما الفرنسية ، (ص ١٨) ، كما يقول في مصطفى لطفي المنفلوطي : وهو وسيط للثقافة الفرنسية الرومانتيكية مارس تاثيرا عظيما على الكتاب السوريين ، (ص ١٦) ..

وفي المرحلة الثانية يقول : تظهر عند كتاب المرحلة الثانية قدرة تفوق قدرة سابقيهم على تمثل المؤثرات ، كما تعكس اعمالهم الافكار الدارجة في الادب الاوروبي المعاصر ، مع تفاوت بين التقليد الاعمى ، والاقتباس الواعي ، (ص ٢٥) ، ثم يقول في المرحلة الثالثة : ازدياد فعالية المؤثرات الانكلو اميركية ، مع اتساع وتنوع المؤثرات الاجنبية بوجه عام ، واتجاه الكتاب الى المزيد من الاصطفائية في موقفهم من المؤثرات ــ (ص ٢٩) ، ثم يضرب مثلا على دراسة المؤثرات ، فيحلل رواية « في المنفى » لجورج سالم ، ويقارنها برواية « القضية » لكافكا ، (ص ٣٢ ــ ٣٤) .

٥ و ٦ ــ القصة في سورية ، لشاكر مصطفى ، مصر ١٩٥٨ ص ٣٠١ ، وانظر ص ٢٣٥ ــ ٢٣٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٩٤٥ : ونشرتها مجلة « الاديب » في بيروت عام ١٩٤٨ .

في حين كان اسكندر لوقا ينشر في القصة منذ عام ١٩٤٩ وصدرت مجموعته القصصية الاولى ، وهي « حب في كنيسة » عام ١٩٥٢ .. وهناك فوارق كبيرة بين ادب هذين الرائدين ، ولكني حرصت على الجمع بينهما في هذا البحث ، لانهما اليوم من جهة ، طليعة منتجة ، مخلصة لادبها وانتاجها ، ولانهما من جهة اخرى ، واقعيان انسانيان معنيان بالتحليل كل على طريقته (١٣) ، عبد السلام العجيلي يؤثر التحليل عبر السرد ، واسكندر لوقا يؤثر اللقطة وايحاءها النفسي ..

ناهيك بأننا ازاء هاتين المجموعتين الحديثتين سنقف على خصائص بارزة مميزة في ادبهما وفنيتهما ، لدرجة انه يغدو من الصعب جمعهما تحت مذهب واقعي انساني ، او تحليلي واحد ، اذ يصير ادب اسكندر لوقا الى الرمز الانساني القائم على الحادثة المفردة يتسقط ايحاءاتها تسقطا ، بينما يظل ادب عبد السلام العجيلي ادب واقعية انسانية سردية ، تزن بكل ثقلها ..

ولا مراء ان ذلك كاف للتدليل اليوم على صعوبة البت في امر تطور القصة السورية ، ومراحلها ، وانه يلزمنا بالاحرى لذلك التروي العلمي والفني ، النزيه ، الامين ، ابتداء من الوقائع الفعلية نفسها ..

تضم (١٤) مجموعة « فارس القنطرة » خمس قصص متنوعة الموضوع والتقنية ، الاولى والتي تحمل المجموعةعنوانها قصة تاريخية منالاندلس نصا وموضوعا، ثم الثانية والثالثة من وحي الاسفار ، وهما مركبتان ، يتساوق فيهما في كل منهما موضوعان يتبين فيهما في الاساس في القصة الثانية صورة نفسية اجتماعية للتعذيب والتنكيل بالانسان ، وفي القصة الثالثة العفة والحب ، وايضا النسيان ، ثم الرابعة قومية من وحي حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وهي بالاحرى ذات موضوع موحد يوجهه التشويق لسرد ذكريات شيقة ، ثم الاخيرة لوحة نفسية اجتماعية جامعة ، وهي واسعة الاطراف ، متشعبة المسالك ، بل هي مفككة ، تركها صاحبها كذلك كما هو يصرح (١٥) لان موضوعها اضطره الى ذلك ، وتجمع بين العلم والخرافة الشعبية ، وتدور حول الايمان بالغيب وضرب المندل وكشف البخت ، والتليباستا ، والايحاء النفسي والسحر ، وكيف يستغل الناس ذلك لاهوائهم ، وبعضها دنيء ، والى ما هنالك ..

الموضوعات اذن متنوعة ، وهي نفسها موضوعات العجيلي ، الذي تعالج قصصه قضايا انساننا في أفقها الاوسع ، ويجمع فيها بين الواقع والخيال ، المتحقق العيني والممكن المتوهم (١٦) ..

ان البناء القصصي هو الذي يلفت النظر في هذه المجموعة ، اذ البناء القصصي عند العجيلي كان ولا يزال البناء السردي الذي يتكامل فيه السرد والوصف والتحليل ، ويقوم على حادثة كبيرة ذات بداية ونهاية ، او عدة حوادث متداخلة .. ان هذا البناء هو الذي يضطره الى بسط موضوعين يساوق بينهما لعرض الاحداث ، او تحليل المواقف والنفسيات .

فمثلا « فارس مدينة القنطرة » اذا كانت قصة تاريخية منقولة من مخطوطة اندلسية تحوي على مذكرات فارس شاعر اندلسي ، يؤرخ فيها لفترة تقهقر العرب ، الى الساحل الجنوبي في الاندلس والفتن والدسائس التي حصلت فيها .. فقد انتقى موضوعها من اخبار احد الفرسان وقتها واجراها بنفس طريقة عرضها ، وبنفس اسلوبها المركز ذي الجمل القصيرة ، كما دونت يوما اثر يوم ..

في حين قصة « نبوءات الشيخ سلمان » مثلا تجري على لسان المتحدث المخمور ، وهو من المتطوعة القدامى في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وهي ذكريات له شيقة حقا ، ابرزها هذه النبوءات عن عدم جدوى تلك الحرب وطرقها .. وفيها اوصاف شيقة للمواقف وسط زحف المتطوعين في الجبال الوعرة ، واستقبال الاهالي لهم ، وسلوكهم ازاءهم ، او معتقدهم فيهم .. الموضوع هنا بالفعل موحد ..

في حين في « مذاق النعل » نبدأ مع المتحدث وهو ضيف احد الامراء على الخليج العربي ، يصف شعوره هناك ، احد اتباع الامير او المستخدمين عنده يوافيه على البحر ، وبعد احاديث عن الامارة والشعب الامي فيها والسجن والكرامة الانسانية ، يسرد هذا المستخدم ، وهو ليس من الامارة ما جرى له في بلده ، من تعذيب واهانة في السجون هناك دفعت به الى الهجرة عن وطنه .. الموضوع هنا مزدوج ، والسرد الثاني يمكن ان يقوم لوحده بدون السرد الاول .. وهكذا دواليك ..

ولست انكر ان هذا التلخيص للقصص يسيء الى فنيتها ، وما فيها من لمحات ذكية ، وتحليلات انسانية مختلفة ، ولكني تعمدته لاظهر بواسطته كيف ان التقنية فيها ظلت هي تقنية القصة الفنية المعهودة عند علي خلقي، وفؤاد الشايب ، ومظفر سلطان ، ونسيب الاختيار وغيرهم ، يطبعها العجيلي بطابع خصوصياته او انسانيته، وما هكذا التحليل ، ولا التقنية في المجموعة الثانية ، التي

---

٧ و ٨ ـ المصدر السابق ، ص ٢٥٣ وما بعدها . ٩ و ١٠ ـ ادب القصة في سورية لعدنان بن ذريل ، دمشق ١٩٦٦ ، ص ٨٦ و٨٧، ١١ ـ المصدر نفسه المقدمة ص ٥ وما بعدها ، وهل من مذاهب ادبية ص ١٩٨ وما بعدها . ١٢ و ١٣ ـ في كتابنا السابق الذكر فصلان عن منجزاتهما السابقة ، راجع ص ٢٠٩ ـ ٢٣٣ و ص ٣٢١ ـ ٣٤٩ . ١٤ ـ فارس مدينة القنطرة ، لعبد السلام العجيلي ، بيروت ، يناير ١٩٧١ ، ١٥ ـ المصدر السابق الذكر ، ص ١٨٨ ، ١٦ ـ راجع كتابنا عبد السلام العجيلي ، دراسة نفسية لفن الوصف القصصي والروائي، دمشق ١٩٧٠ ، ص ٢٠ و٦٩ و٧٠ و٩٦ وغيرها ، وراجع فارس مدينة القنطرة ص ١٩٤ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هي مجموعة انسانية ، لنماذج من احداث ، او مواقف انسانية يتسقط صاحبها ايحاءاتها تسقطا ..

كل قصص هذه المجموعة الحديثة : « الوليمة » للاستاذ اسكندر لوقا (١٧) قصص من الحياة ، وكلها يقوم على الحادثة ، انها لقطات لمواقف ، يمكن نعتها بفريدة لانها عامة او غريبة او نادرة او بطولية .. والتركيز في اللقطة واضح حقا بما يشعر بالعزل ، والانتقال ، والفن ايضا لتكون اللقطة معبرة ، ذات ايحاء انساني ..

ولكن الجديد في هذه المجموعة هو التقنية في مساوقة التعليق على الحركة العامة للحادثة ، وما تنطوي عليه من مواقف كبرى وصغرى .. والتعليق هنا يأتي بدون مقدمات ، وهو اصوات لراوي الحادثة عن ذكرياته او ميوله او انطباعاته او رايه ايضا فيما يرى او يسمع ، ونجدها لدى كل فقرة في القصة ، واحيانا في سطرين واحيانا اكثر ، او اقل ..

والنتيجة تكون ان الحادثة تستحيل بالفعل الى **عبرة ، الى بؤرة تأمل ، او تعاطف ، تضطر القارىء الى** المشاركة الوجدانية واحيانا الفكرية ، في جو انساني يحمل ايحاء الرمز ، ولكن ليست هذه الطريقة وتقنيتها هي الطريقة الرمزية التي كنا نقراها في قصص المرحوم **بشر فارس او غيره (١٨) ..**

اذ الرمزية في القصة تجربة ذاتية ، تظل مغلقة في عالم الذات المغلق ، وبدون حادث معين ولا تعليق عليها ، **في حين هنا الحادثة واقعية من ماجريات الحياة اليومية ،** ولكنها فريدة معبرة ، والتعليق عليها يحيلها الى موقف **انساني يحتمل الايحاءات الرمزية ..** ولنلخص للجمهور هذه القصص والحوادث المختلفة فيها :

« المعلم » مقتل معلم بسبب اشاعة عن علاقة له مع **طاهية المختار « عالم طبيعي » ،** تودّدت بـ متسكع ضائع لارملة شابة ، كأن لم يحدث ترمل .. « هيرودوس » ، قتل رجل تقي بتحريض امراة فاسقة ينتظرون التحقيق فيه « التيار » زواج بالقسر تتحداه صبية ، يحار له الابوان ، « السؤال » راعي محب تتودد اليه محبوبته « المسافر » موت طفل ، ولا ينفع فيه الطب « غدار يا زمان » عن الفقير المعتوه الذي كان يقول الازجال في شوارع دمشق على عصفوره عصفوري يا عصفور ، ويتناول بها كل ما يراه ، فيتسلى بها المتسكعون «النجاة» موت عجوز اثر توديعه وحيده المهاجر « المنتصر » فرح الاب بوليده الصبي « بصوت مرتفع » تأييد كهل لشاب من اسرة كريمة يتحدى اهله ويتزوج من خادمة ، يظهر ان هذا الكهل قبلها فقد حبيبته بفعل قتل والده لها لانها دونهم طبقة « في التجربة » في الخطيئة ، السقي فيها والتستر عليها « الشجرة اليابسة » في زواج فتاة « عودة الخروف الآخر » في فرار ولد من بيت الابوة « الثعلب » في زحف العدو برصاصه على المقاتلين المقاومين « الزرع » اهمال في التربية العائلية يؤدي الى موت فتاة ، وتعذيب الاخرى « طفولة » براءة طفلين في معاكسة سيدة جميلة وكلبها « الوليمة » في موت خاطئة في بحران دمها رجما ، بينما احد الذين يمتنعون عن الرجم يتحدى ..

اننا نرى بالفعل كيف ان حوادث هذه القصص حوادث من الحياة مركزة وفريدة ، ولكن التعليق عليها ، على حركتها العامة ومواقفها ، يحيلها الى طاقة من الايحاء الانساني ، او الرمزي الانساني ..

وبالمناسبة احب ، قبل ان اترك القلم ، ان اذكر الاستاذ اسكندر لوقا ان هذه الطريقة مطروقة في ادبنا القصصي السوري الحديث (١٩) ، وكان توسع فيها في اتجاه تداعي الخواطر والافكار الاستاذ عادل ابو شنب بغية رسم لوحة قصصية جامعة ، ليس بالضروري انسانية ، ولكن لوحة جامعة نفسية حية ، ضمنية او من الذكريات ..

وكنت درستها على منجزات عادل ابو شنب وعلقت عليها في كتابي الآنف الذكر (٢٠) ، انها بالفعل عامل ايحاء ، ولكنها متعبة للقارىء ، سواء عند ابي شنب او في هذه المجموعة ، علاوة على انها في هذه المجموعة تشعر بالغير ، وخاصة الغير الذي يكون انسانا خيرا ، وليس شريرا ، فتميل الى اكتساب صفة العبرة الانسانية ..

واخيرا أليس صحيحا ان القصة السورية تسير اليوم في طرقات متشعبة ، طويلة وانه لا بد من الاناة في تبينها ، والحكم عليها ؟! الراي للسادة القراء ، والى لقاء ..

دمشق — **عدنان بن ذريل**

---

١٧ — الوليمة لاسكندر لوقا ، دمشق ، حزيران ١٩٧١ ،
١٨ — كنا نشرنا في « النقاد » عدة بحوث عن الرمزية عند بشر فارس وغيره ، ١٩ و٢٠ — راجع في كتابنا ادب القصة في سورية ، السابق الذكر ، ص ٣٦٠ — ٣٧٨ والمراجع التي يحيل اليها ..

ليلة مولدي

قيل ان الخريف فصل عليل
يلبس الارض خلة من ذبول
بينما الصيف يملأ الكون زهوا
ويرد العليل غير عليل
بيد ان الخريف يفضل عندي
كل فصل مبارك في الفصول
كان في ليله الكئيب انبثاقي
من دجى اللاوجود والمجهول

جبيل ـ لبنان — **شكرالله الجر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نهر الازهر

يا وادي الورد ! أحيا الورد ماطره ... وأنشأ الروض والازهار باكره
أي الكسى منك أشهى ـ حين تخلعها ... على الوجود ، وللتاريخ ذاكره
لا النيل أزكى ندى منه ولا بردى ... ولا الفرات اذا ما جاش زاخره
ثوى عميقا • وفي الاشجار وارقه ... وفي النسائم والآفاق عاطره
يسوق ألفا من الاعوام ممتطيا ... ذرى القرائح ، ما يرتد ناظره
يفيض وحيا والهاما وعاطفة ... على الدهور ، اذا نادت منائره
(الله أكبر) في الاجواء سارية ... كالضوء يمتد ، ان لاحت بشائره
بنى الحقيقة • هل تبلى معالمها ... وباطن الحق لا تخفي مظاهره
بنى الوجود • فلا قول ولا عمل ... الا كما جاء في القرآن آمره
بنى الحلوم • بناها في مداركها ... بنى وأعلى • فهل تنسى مآثره
شيوخه أمة الاسلام خالدة ... بالفكر والذكر ـ ما قامت منابره

يا موئل الامس ! أن اليوم مضطرب ... وبارق الغد قد غمت مصادره
يا موقد الامل القدسي اين مضى ... سناؤك الجم والاشراق باهره
عدا الزمان علينا في نوائبه ... وللزمان طباع ما تغادره
نهر العقيدة جار منك ام نضبت ... تلك الينابيع ، ام للموج هادره
يا واهب النهر ! لا تبخل بعودته ... ملء الضفاف ، فان الله فاطره
جرى سخيا • فللاسلام منهله ... وللعروبة والاقوام سائره
مكون الدول الكبرى وخالقها ... وباعث الشرق • ما ذلت مصائره
ثوى عميقا • وللتاريخ منعطف ... وللحضارة تيار يبادره
وللعقائد أسواق وأردية ... فكيف يختار واهي العزم خائره
هل بت في الضيم ام في عزلة كبرت ... فما الصراع اذا نامت كواسره
الملهمون بنوك الصيد ان نهضوا ... للخصم • ان سلاح الفكر قاهره
قد يعظم الدين يوما بالرجال اذا ... تحرروا ، وسما بالحق ناشره
ما الدين للشعب الا عزة وهدى ... ما ضاع شعب وهادي الدين زاجره
يجري التطور من ضيق الى سعة ... فالكون فيه قديم لا يحاذره
الكون لله • جل الله خالقه ... والعقل رائد هذا الكون عابره
سر التطور في دين وفي عمل ... كلاهما خير الابداع ، وافره

أبا العقيدة ! جباران قد نزلا ... بالمشرقين • وللاسلام واتره
متى المناجزة الكبرى وفي دمه ... تلك المواثيق ما زالت تخامره
ليست هزيمة شعب في جحافله ... هل يهزم الشعب ان صحت بصائره
ان نامت الاسد من للاسد يوقظها ... الا نداؤك ، والالهام طاهره
ايقظ عقيدة هذا الشرق ان له ... مع الخلود لقاء قام ناذره
بالرأي والقلم الاعلى تقدمه ... لا بالعديد ، اذا عدت عساكره
بالعلم والخلق الباني مسيرته ... لا بالهتاف ، اذا ما ثار ثائره
الروح ذخر لهذا الشرق في غده ... فليرفع الرأس باسم الله حائره

طرابلس ـ لبنان
سليم الرافعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نقـولا يوسف

علي الغاياتي الشاعر والكاتب والصحفي

بقلم نقـولا يوسف

* * *

عرفنا بين المجاهدين العرب المحدثين ، كاتبا شاعرا وصحفيا ثائرا ، لم يمتلك طيلة حياته غير قلم مرهف ومبادىء مثلى فجردها جميعا لمقاومة المساوىء المتفشية في عصره ، والمظالم الطاغية على بلده .. ولم يثنه السجن والنفي والحاجة ، عن مواصلة الجهاد والدعوة والكتابة الى اليوم الاخير من عمره .. يحركه دائما ولاء غريزي خالص لوطنه وشرقه ودينه ، مع زهد في اعراض الدنيا ، ودأب على العمل والكدح.

هو المشهور المنسي « الشيخ علي الغاياتي » الذي يتحمل هنا « درامة » حياته في اربعة فصول متعاقبة ، تتفاوت في اطوالها الزمنية، وتستغرق جميعا على مسرح الحياة الدنيا حوالي سبعين عاما (١٨٨٥ - ١٩٥٦) .

فاذا كان الفصل الاول فنحن بمدينة دمياط الجاثمة اليوم كما كانت منذ اقدم العصور عند مصب النيل في البحر ، بين البحيرة والحقل والنهر .. حيث قضى علي محمود الغاياتي الاعوام الاثنين والعشرين الاول من حياته .. هناك في حي عربي شعبي عتيق ، ولد عام ١٨٨٥ لابيه الشيخ محمود الغاياتي صاحب مدرسة اولية صغيرة اغلقت بوفاته .. وفي المدرسة الابتدائية الاهلية التي انشاها علي الحزاوي عام ١٨٧٣ وسماها « مدرسة الفتوح الرباني » ، وما زالت الى يومنا مفتوحة الابواب باسم « مدرسة الخراوي » تلقى الصبي تعليمه الاول : القرآن الكريم ، ومبادىء العربية والحساب والخط ..

ثم نراه بعدها بين طلاب المعهد الديني الازهري بجامع البحر بدمياط ، يستزيد من العلوم الدينية والفقه واللغة بضع سنوات ، ويتعرف الى شيء من الادب العربي القديم .. ويشتغل أيضا مدرسا بمدرسة الخراوي ، مزاملا بها شاعر دمياط المحفلي - علي العزبي الذي يكبره قليلا في السن ، ويشاركه في الاقمامات الوطنية ..

ويشب الفتى الغاياتي وسط مؤثرات ثقافية محدودة ، كانت تشع في ذلك الاقليم المشتغل بالتجارة والصناعة .. وتتزعم تلك الحركة الثقافية المتوارثة : فئتان من خريجي معاهد المدينة فئة شيوخ الدين والفقه والشرع ابناء « المعهد المتبولي » القائم هناك منذ عام ١٤٧٥م - نسبة الى الشيخ ابراهيم المتبولي ، وورثته مدرسة جامع البحر التي تحولت الى المعهد الديني الازهري هناك .. وكان منهم معلمون ووعاظ وخطباء في المساجد ، ومفسرون ومؤلفون في الفقه .. ثم فئة اخرى من الشباب ادركتها حرفة الادب ، فاخذت تحتذي مشاهير الشعراء والكتاب القدماء والمحدثين ، قبل ان يشق كل فرد منها طريقه الخاص .. وكانت تصل اليهم صحف عصرهم ومجلاته ، وفي مقدمتها « اللواء » و « الاهرام » و « المؤيد » حاملة اليهم انباء حركته الوطنية واقلامها، وجهاد مصطفى كامل وزملائه ، مع احداث العالم الخارجي واخبار الدنيا ..

وعلى مر اعوام تلك الفترة ، ولد ونشأ في ذلك الاقليم من فئة الشعراء : حمدي النشار (١٨٧٣) وعلي العزبي (١٨٨٣) وعلي الغاياتي (١٨٨٥) .. وتلاهم محمود عماد (١٨٩١) ومحمد مصطفى الماحي (١٨٩٥) وطاهر الجبلاوي (١٨٩٥) وعبد اللطيف النشار (١٨٩٨) ومحمد الاسمر (١٩٠٠) وطاهر الطناحي (١٩٠٣) ومحمد مصطفى حمام ، ومحمود عبد الحي (١٩٠٤) غير شعراء آخرين عاصروا هؤلاء ولم يشتهروا مثلهم ، وغير من جاء بعدهم وحاز الكثير او القليل من الشهرة .. (١)

وفي تلك المدينة المحدودة النطاق ، والمتعارفة السكان ، حيث نشأ شاعرنا الغاياتي كانت تتجلى بين الحين والحين « ظاهرة » معنوية، تعنف مرة فيسمونها « فتنة » وتلين اخرى في مناظرة او نقاش هو اختلاف بين الآراء في بعض المسائل المذهبية او الاجتماعية .. وفي احداها عام ١٩٠٧ اشتبك علي الغاياتي ولما يزل في مطلع الشباب ، وتعرض للاعتقال بضعة ايام ، كما سيلي ..

وعن تلك الظاهرة كتب مرة اديب من هذه البلدة يقول : (٢)

« .. ومن العجيب ان دمياط التاجرة الصناع تستجيب للمعاني الذهنية وتتجاوب معها ، وتكون بيئة خصبة للتفكير .. وقلما تجد مدينة تحس الخلافات المذهبية كدمياط .. حدث مرة ان اختلف عالمان جليلان حول بعض المسائل الدينية ، فاذا دمياط فريقان يتناظران ويتناقدان ، ويتبادلان الحجج والاسانيد ، وان شئت فقل ان البلدة انقسمت الى مدرستين ، حتى ليسال الرجل منهم أخاه : ارمالي انت ام خضري ؟! - نسبة الى الشيخ الرمالي والشيخ الخضري - كما يتساءل الناس عن الوانهم السياسية او اتجاهاتهم الحزبية بلد يعيش في الفكر الى هذا الحد هو من غير شك بلد حسان فتان !.. »

ويقص الكاتب المرحوم عبد الحميد حمدي (١٨٨٥ - ١٩٥٠) صاحب السفور ، والضياء ، والمنبر ، في ذكريات نشرها بالاهرام قبيل وفاته ، عن مسقط راسه ومسرح صباه (دمياط) انه عاصر هناك جمعية ألفها بعض ادباء ذلك العهد ، ومنهم الشاب محمد فريد وجدي (الباحث المؤلف فيما بعد) وكان يومذاك يعيش مع ابيه مصطفى وجدي وكيل محافظة دمياط . ويسهم في جماعاتها الادبية .. ثم يقول: « واهل دمياط قوم محبون للقراءة والبحث ، وبخاصة في المذاهب الدينية . وكان فريق منهم في العهد الذي اذكره (١٨٩٦) قد اعتنقوا المبادىء الصوفية . وكان على رأسهم سيد فاضل هو المرحوم الشيخ مصطفى مشرفة (والد العالم علي مصطفى مشرفة) وقد التف حوله بعض الشبان من طلاب العلم ، فارتاب اهل السنة في ابحاثهم ، ورموهم بالالحاد .. وكان لذلك ضجة استمرت وقتا ما ... » (٣)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وشهد علي الفاياتي في صباه تلك المقارعات ـ كما شهد علي بعد ـ ما حدث عام ١٩٠٩ بين انصار التجديد وبين المحافظين على القديم في تلك المدينة يوم سنت الحكومة قانونا ونظاما جديدين للمعاهد الدينية ورأت ضمها الى الازهر وكان ما كان بين الطرفين ، حتى هدأت العاصفة وسرى النظام الجديد على المعهد ولا يزال ..

اما ما حدث عام ١٩٠٧ وسماه الفاياتي « فتنة » وسجن بسبب مشاركته فيها فقد بدأت قبيل رحيل شاعرنا الى القاهرة ، وتفاقم امرها بعد ايام من رحلته .. واعتقل بعد بضعة اشهر من اقامته بالعاصمة .. ومجمل هذه القصة ان احد علماء الدين بدمياط ، اسمه « الشيخ حسن علي » اعلن رأيه الخاص في « تحريم صناديق النذور للاولياء والتوسل بأصحاب القبور ، ونفى قول القائلين بالخطوة للاولياء ، فان التوسل لا يكون الا لله وحده لا شريك له .. » فثار عليه المحافظون على القديم .. وتعقدت المشكلة ..

ويروي علي الفاياتي هذه الحكاية وذيولها في مذكراته ، كما يلي : (٤)

« حدث في شهر مايو عام ١٩٠٧ خلاف بين علماء الدين في ثغر دمياط ، ادى الى فتنة دينية اشتعلت نارها بتداخل العوام فيها ، ورفع أمرها الى مشيخة الازهر وسمو الخديوي . وكاد يستفحل خطبها بتحريض العلماء ذوي الافكار العتيقة البالية على ايذاء مخالفيهم من المصلحين . وما زال الجهل والحمق يقودان حزب الضلال ، حتى استدعت مشيخة الازهر من دمياط ، العالم الذي جهر بالحق ، وشنع على صناديق النذور ، والتوسل بأرباب القبور ، ونفى قول القائلين بالخطوة للاولياء . وانعقد مجلس الادارة لمحاكمته فكان الحكم .. يقضي بمنع العالم من التدريس ، وبقطع مرتبه وجرايته سنة كاملة ، يقدم شيخ علماء دمياط في آخرها شهادة للمشيخة بحسن سلوكه .. »

اما عن صلة علي الفاياتي بهذا الحادث وقد كان من انصار هذا الشيخ ، ومن المؤيدين لفكرته فانه ما كاد يرتحل الى القاهرة (في ٤ من ابريل ١٩٠٧) ويشتغل محررا بجريدة « الجوائب المصرية » لصاحبها خليل مطران ، حتى شرع يكتب مدافعا عن الشيخ ويهاجم معاقبيه ، وكانت فاتحة حملاته القلمية المتصلة في الميادين الاجتماعية والسياسية .. وفي مذكراته يتابع القصة بقوله :

« .. وقد كنت اذ ذاك محررا بجريدة « الجوائب المصرية » فتتبعت هذه الفتنة الشعواء ، واخذت اكتب واستكتب غيري من الكتاب ، منتصرين للحق ، محاربين الباطل . فكان قولي ثقيلا على المبطلين . فلقيا تأييدا من القراء والكتاب ومنهم الدكتور شبلي شميل الذي لم نكن نعرف من هو مع علمه وشهرته في ذلك الوقت .. فدبروا لي مكيدة تريحهم من سماع صوتي ، وتكون انتقاما مني ، وعقابا لي على حملتي التي شاركني فيها كثيرون من مصلحي الامة وفضلائها ، وايدوني في موقفي .. اما هذه المكيدة فهي ادخالي الجيش بدعوى انني عوفيت من القرعة العسكرية لطلب العلم ، ولم اقض المدة القانونية بعد المعافاة بدون اشتغالي بحرفة سواه . فقدموا الى « الحربية » مطاعنهم ، وامطروا على ادارة القرعة رسائلهم ، واخذ التحقيق دورا يعرفه من يعرف قانون القرعة ... فكانت النتيجة انني سجنت بقشلات العباسية اثني عشر يوما (من ١٨ الى ٣٠ ديسمبر ١٩٠٧) تحت التحقيق . ثم اطلق سراحي لاسباب قانونية ... وقد نظمت قصيدة طويلة في مدة السجن ... »

ومما جاء في هذه القصيدة : (٥)

فليعلم الخصماء انـي قائـم ... في كـل حـال بالمقام الارفـع
فاذا حملت بصارمي يوم الوغى ... غادرت مـن لاقيت غير مودع
واذا كتبت فنعمـة او نقمـة ... للعالـم المفضال او للمدعـى
انا لـم اجيء الا بقول اللـه في ... تشريعـه واللـه خير مشرع
فاذا غـدا القرآن مهجورا ولـم ... تعبأ بحجتـه الشيوخ وتقنـع
وغدا فقيه الديـن بين الناس لا ... يدري ويحسب انـه ذا الالمعى
فعلى بنـي الاسلام ألف تحيـة ... ان كان هذا مـن بنيه الركـع

ثم كان من آثار هذا الحادث في نفس شاعرنا ان شملت غضبته اهل مدينته ، فاتهمهم بالمحافظة والبعد عن الوطنية ـ وان كان قد بعد هو بهذا الشمول عن الانصاف ـ لان التاريخ في مدى عصوره يذكر لهم وطنيتهم ومقاومتهم للغزاة وتضحياتهم ، واسهامهم في مجالات الاصلاح والتجديد ، فيقول الفاياتي في كلمة عن شعره الباكر : (٦)

« ولقد أضلني ما اضل الشعراء من قبل ، فطرقت في بدء محاولتي النظم موضوعات لا خير فيها للبلاد ، ولا ذكر للامة والوطن .. اما عذري في ذلك ـ ان حاولت الاعتذار ـ فذاك انني كنت في معزل عن الحركة الوطنية لا اعرف من امرها شيئا ، وحسبي انـي ولدت في مدينة دمياط ، ونشأت فيها بين قوم كرام ، غير انهم يعبدون الحكام كانهم آلهة يحيون ويميتون !. ثم لا يكادون يذكرون الوطن والوطنية على الاطلاق ! ولقد بقيت فيهم حتى ناهزت الثانية والعشرين من العمر . ثم غادرتهم آسفا مسرورا ميمما القاهرة يوم الخميس ٤ من ابريل ١٩٠٧ على انهم لا يزالون الا قليلا من نشئهم المامول ، ابعد العباد عن ذكر العباد ... !! »

ثم يعاتب اهل مدينته في ختام قصيدته (وقد سلف ذكر بعضها):

يـا اهل دمياط الكريمة انـي ... منكم ـ وقلبي بينكم في مربع
فعلام بتم تقطعون حبالنـا ... وحبالنا موصولة لـم تقطـع
اني امـد يـدي اليكـم مهديا ... اخلاص قلب في هواكـم طيع
واصافح النصراء والخصما ولا ... أناى عن الاعدا وان لـم تهجـع
فعليكمو منـي السلام تحيـة ... ما لاح بـدر قصيدتي في مطلـع

وغادر شاعرنا مسقط رأسه عامذاك . وما ان امضى بالقاهرة نحو عشرة اشهر حتى عاوده الحنين اليه ، فجاءه في شهر فبراير ١٩٠٨ ليقضي بضعة ايام مع والديه واهله وعشيرته .. وهناك ادركه نبأ وفاة الزعيم مصطفى كامل (يوم ١٠ من فبراير ١٩٠٨) فشارك في اقامة حفل كبير لتابينه بجامع البحر يوم ١٤ فبراير حيث القى (الفاياتي) مرثيته : (آية الاسف ـ ص ٤٨ ـ ٥٠ وطنيتي) ـ كما القى عدد من ادباء المدينة وشيوخها الخطب الوطنية والقصائد الرثائية .. ثم ودع شاعرنا بلدته واهله ، وارتحل الى مصيره المجهول ..

* * *

ويبدأ الفصل الثاني من قصة علي الفاياتي ، في القاهرة طاويا من الزمن نحو ثلاث سنوات مليئة بالاحداث والجهاد والمغامرة ، وختامها المطاردة والخروج مرغما من البلاد منذ ان نزل بالعاصمة في الرابع من أبريل ١٩٠٧ كما سلف شابا فقيرا مجهولا في الثانية والعشرين من عمره ، لا يحمل مؤهلا مدرسيا او وسيلة مهنية تعينه على كسب العيش في ذلك المعترك المتلاطم وكل ما كان معه قلمه وعزيمته واحلامه .. وكانت القاهرة يوم قدم اليها مركزا للنشاط الوطني والثقافي

---

١ ـ كتاب « تاريخ دمياط منذ اقدم العصور » لنقولا يوسف ـ ١٩٥٩ ـ وكتاب « من اعلام دمياط » له (تحت الطبع) .

٢ ـ من مقالة للشاعر طاهر ابو فاشا بجريدة « اخبار دمياط » .

٣ ـ من ذكريات الماضي لعبد الحميد حمدي بالاهرام ٢٨ يناير ١٩٤٩ و ٦ يونيه ١٩٥٠ .

٤ ـ انظر ديوان : « وطنيتي » لعلي الفاياتي ط٣ ـ ١٩٤٧ ـ هوامش ص ١٢٩ و ١٣٢ ـ ومذكرات مسلسلة بجريدة « منبر الشرق» من ٢٣ مايو ١٩٥٢ فما بعد ـ جمعها ونشرها في كتاب بعنوان : « فجر الثورة » حسنين محمود حسنين ١٩٦٢ ، ٥ ـ « وطنيتي » ص ١٢٩ ـ ١٣٢ .

٦ ـ مقدمة ديوان « وطنيتي » ص ٢٤ ـ ط ٣ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والصحافي .. كما كانت مقرا للجامعة الازهرية وسائر المعاهد العليا .. والحركة الوطنية المقاومة للاحتلال الانجليزي تزداد اضطراما ، وبخاصة بعد حادثة دنشواي (في ١٣ يونيــه ١٩٠٦) وصوت مصطفى كامل يدوي في الصحف والمحافل .. وصادف الفاياتي منــذ قدومه الى القاهرة من الاحداث القومية ما ألهب شاعريته ، فنظم عـــددا مـــن قصائده الوطنية ونشرها في الصحف تباعا .. وكان مـن تلك الاحداث استقالة كرومر ورحيله من مصر ، واستقبال الشعب لمصطفى كامل عند عودته من اوربا ، وتاسيسه الحزب الوطنــي ، وخطبته الكبــرى في الاسكندرية ، ومقابلة الفاياتي له وانضمامه الى حزبه ، ووفاة مصطفى كامل ، وتردده على نادي المدارس العليا ، وعلــى دار « اللواء » .. والثورة التركية وخلع السلطان عبد الحميد (١٩٠٨) ...

وسعى الفاياتي الى عمل صحفي في احدى جرائد القاهرة العربية الوطنية ، وكان بها حينذاك من الصحف اليومية الكبرى : « الاهرام » التي انتقلت الى العاصمة منذ عام ١٨٩٩ .. و « المؤيــد » لصاحبها الشيخ علي يوسف وكانت تصدر منــذ اول ديسمبر ١٨٨٩ وتعالــج القضايا الوطنية والشؤون الاسلاميــة ، والادب واللغــة ، وتناصر الخديوي عباس الثاني .. و « اللواء » التي اصدرها مصطفى كامل في يناير ١٩٠٠ لمقاومة الاحتلال وللدعوة الــى الاصلاح .. و « الجوائب المصرية » التي انشأها خليل مطران في فبراير ١٩٠٣ سياسية ، ادبية ، مالية ، داعية الى الحرية الفكرية والاستقلال الوطني . واختار لها هذا الاسم الذي سبقه اليه احمــد فارس الشدياق صاحب الجوائب بالاستانة منذ عام ١٨٦٠ والى عشرين سنة ، مع ما هناك من فروق بين سياستي الصحيفتين .. و « الدستور » اليومية .. ثم « الجريدة » عام ١٩٠٧ ورأس تحريرها لطفي السيد .

واخذ الفاياتي يتعرف الى هذه الصحف وكتابها ، وينشر قصائده ومقالاته هنا وهناك .. وضمه خليل مطران الــى أسرة « الجوائب المصرية » مزاملا في تحريرهــا : الخليـــل ، وحسين شفيق المصري ، وأبا بكر لطفي المنفلوطي ، وعددا من الادباء الهواة والادباء .. وهنا راح صاحبنا يشن الحملات نثرا وشعرا على من يراه نصيرا للاحتلال والتخلف .. وكانت « الجوائب » تلقى اقبالا اول امرها ثــم اشرفت على التعطيل في اواسط ١٩٠٩ بسبب انصراف القراء الــى الصحف الحزبية وما دار بينها من معارك الآراء السياسية . ومع ذلك لــم يقلقها الخليل ، ورأى ان يستأنف اصدار صحيفته الاخرى « المجلة المصرية » للمرة الثانية ، وعاشت الى جانب اختها عاما واحدا ثــم اضطر الى اغلاق الجوائب والمجلة المصرية واحـــدة بعــد الاخرى ، وانصرف عن اصدار الصحف الى آخر حياته .. (٧)

وكان الفاياتي قد ترك التحرير في « الجوائب المصريــة » لسبب ذكره في مذكراته وخلاصته ان ادارة هذه الجريدة انتقلت يوما الــى رجل من اصهار العائلة الخديوية اسمه « عطا حسني » ــ وحــدث ان نشر الفاياتي في « الجوائب » مقالة بعنوان « الدستور اميرنا » وكان لها مغزاها في ذلك الحين .. فما ان اطلع عليها « عطا » بعـــد صدور الجريدة حتى أمر بجمع اعدادها من الباعة ، ووضع مقالــة اخرى مكانها خشية غضب الخديوي !. وهنا ترك صاحبنا عمله بهــا الــى غير عودة ..

وعهد اليه بعض زعماء « الحزب الوطني » تصحيح كتاب عن حياة مصطفى كامل في عدة اجزاء ، وضعه وجمعه شقيقه علي فهمي كامل ، وصدر اولها عام ١٩٠٨ واشترك في عمليــة التصحيح الاديبان صادق عنبر وامام العبد .. وخصص لهم غرفة بدار « اللواء » ، واصبحت هذه الدار مأوى الفاياتي فيها يعمل وينشر قصائده ..

وفيما بين اوائل ١٩٠٩ واوائل ١٩١٠ نشر الفاياتي في « اللواء » معظم قصائده القومية والسياسية التي تضمنها ديوانه « وطنيتـي » فيما بعد .. واصبح عضوا في أسرة تحرير « اللــواء » وكانت رئاسة تحريره قد آلت عقب وفاة مصطفى كامل الى الشيخ عبـــد العزيز جاويش ، واختير محمد فريد رئيسا للحزب الوطنـي وموجها لسياسة صحيفته .. ويشيد الفاياتي بما كان لهذين المناضلين من اثر علــى تكوينه المعنوي .. كما ينوه بفضل مدرسة اللـــواء في تكوين حياتـــه الوطنية والسياسية . وكانت الدار تعج بالكثيرين مــن شباب الامــة وشيوخها ، وبالمحررين والكتاب ومنهم امين الرافعي ، وعبــد الرحمن الرافعي ، وعلي فهمي كامل ، وسيد علي ، وابراهيم رمزي ، وسنى اللقاني ، والشيخ مصطفى علام ، ومحمد توفيق . وغيرهم .

ثم حدث في اوائل ١٩١٠ ان اصدر الحزب الوطني قرارا بـــان « اللواء » لم يعد لسان حاله وذلك على اثر مــا حدث بين ورثـــة مؤسسه ، مما ادى الى تعيين حارس قضائي علـــى شركته ، واراد الحارس التدخل في شؤون التحرير وعارضه محمد فريد ثـــم اصدر الحزب جريدة « العلم » مـــن ٧ مارس ١٩١٠ وكانت تطبـــع في دار « المؤيد » .. وانتقل علي الفاياتي وعدد من زملائه الى العمل بجريدة « العلم » وبدأ شاعرنا فحياها بقصيدة ، واتخذ هناك مكتبه ، يكتب وينظم ويتناول مرتبا شهريا خمسة جنيهـــات .. ويزوره احيانـــا « الشيخ » طه حسين ، والاستاذ المرصفي .. وغيرهما مــــن ادبـــاء الشباب ، واعضاء ناديي المدارس العليا و « الحزب الوطني » ..

وما كاد يمر على « العلم » بضعة ايـــام حتـــى عطلته السلطات شهرين بحجة « خروجه عن حد الاعتدال ، وعمله على تكدير صفـــو العلاقات الطيبة بين مصر وانجلتـــرة ! » فاصدر الحزب جريـــدة « الشعب » حتى عاد « العلم » الى الصدور ، وعاد معه الفاياتي الى عمله الاول ..

وفي خلال تلك السنوات الثلاث (١٩٠٧ ــ ١٩١٠) التي قضاها الفاياتي بالقاهرة ، كان يتردد في ساعات الفراغ علـــى المقاهي التـــي اتخذها ادباء ذلك العهد منتديات لمناقشة همـــوم عصرهم ومشاكلـــه الاجتماعية والسياسية والادبية ــ فيستمع اليهم ويتحدث ويستفيد ــ وللمجالس القهوة هذه تاريخ طويل منذ عهد الافغانـــي واديب اسحق ، والعرابيين ومن جاء بعدهم .. وفي « قهوة متاتيا » يجالس من الكتاب : مصطفى لطفي المنفلوطي ، ومحمد كرد علي ، ومحمـــد رشيد رضا ، ومحمد الهيهاوي ، وامام العبد .. وفي « قهوة جراسيمو » كان لقاؤه مع حافظ ابراهيم ومريديه .. وفي « دي لابيه » مـــع خليل مطران ، وابراهيم دسوقي اباظة وصحابها .. وفي مقهى « البورصة » مـــع الشاعر عبد الرحمن شكري ورفاقه .. وكان هؤلاء جميعا مـــن انصار مصطفى كامل والحركة الوطنية ..

واجتمع لدى الفاياتي نحو خمسين قصيدة مما نشر في اللـــواء ، والعلم ، والمؤيد ، والدستـــور ، والجوائب ، مـــن الشعر القومي والسياسي المصور احداث تلك الفترة ، والمشارك في مقاومـــة الاحتلال الانجليزي واعوانه ، والمؤيد للمجاهدين والمصلحين .. واختار لديوانه اسم : « وطنيتي » ، ووعده كل من محمد فريد وعبد العزيز جاويش بكتابة مقدمة له مباركين هذا العمل الوطني الادبي ..

وقد تحدث الزعيم محمد فريد في تقديمه هذا الديوان عن اثـــر الشعر في تربية الامم ومما قال : (٨)

« الشعر من أفعل المؤثرات في ايقاظ الامم من سباتها ، وبث روح الحياة فيها . كما انه من المشجعات على القتال ، وبث روح الاقـــدام والمخاطرة بالنفس في الحروب . ولذلك تجد الاشعار الحماسيـــة مـــن قديم الزمان شائعة لدى العرب وغيرهم مـــن الامم المجيدة كالرومـــان واليونان وغيرهم .. » وضرب مثلا بالنشيد الفرنسي « المارسيليز » الذي انشأه الضابط روجيه دي ليل ، وكان مـــن اقوى الاسباب في

٧ ــ فصل عن « الجوائب المصرية » بكتاب « خليــل مطـــران » لطاهر الطناحي ١٩٦٥ ص ١٨٣ ــ ١٩٤ وص ٢٥٢ .

٨ ــ انظر مقدمتي محمد فريد وعبـــد العزيز جاويش بديـــوان وطنيتي ص ١١ و١٦ ط٣ ــ ١٩٤٧ ومقدمة الفاياتي ص ٢١ ــ ٢٥ .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

انتصار فرنسا الى ان قال : « تنبهت لذلك الامم المغلوب على امرها فجعلت من اول مبادئها وضع القصائد الوطنية والاناشيد الحماسية باللغة الفصحى للطبقة المتعلمة ، وباللغة العامية لطبقات الزراع والصناع وسواهم من العمال غير المتعلمين فكان ذلك من اكبر العوامل على بث روح الوطنية بين جميع الطبقات ... »

ومما جاء في مقدمة عبد العزيز جاويش : « ليس الشعر ان يمعن الشاعر فيما وراء الحقائق من الصور الوهمية ، او ان يسلك سبيل الاغراق في المدح والذم ، فانما الشعر تصوير ما يدور بالذهن من الصور ... » وبعد ان فرق بين الشعر المطبوع والشعر المصنوع ، ختم كلمته بتحية الديوان وصاحبه بقوله : « ومن شاء ان يرى نموذجا من الشعر جمع بين رقة الالفاظ وجزالة المعاني ، وألف بين احكام التاليف وصدق العبارة ، فليقرأ شيئا من « وطنيتي » . ومن شاء فليسأل عن آثارها تلك الهمم الناهضة ، والنفوس المتوقدة ، والعزائم الصادقة ، فانها من غراسها وجميل ثمارها .. »

وكتب ايضا الفاياتي مقدمة لديوانه بدأها بعتاب شعراء عصره (١٩١٠) الذين يقتتل اكثرهم على الشهرة ، ولا نرى لهم في مواقف الوطنية مجالا ولا مقالا ، ولا نعرف لنا نشيدا وطنيا يذكره الزارع والصانع والتاجر والكاتب وسائر طبقات الامة « .. وانما انا عاتب على خيرة الشعراء ، وصفوة الكتاب الذين يعلمون حاجة الشعب الى التشجيع بمأثور القول من القصائد والمقاطيع الوطنية ، والاغاني والاناشيد الحماسية ، ثم لا يؤدون هذا الواجب المقدس ... »

ثم يصف ديوانه هذا بانه : « مجموعة صغيرة أتيت فيها على مجمل ما نظمته من الحوادث السياسية الخطيرة منذ اوائل سنة ١٩٠٨ الى اوائل سنة ١٩١٠ متتبعا في قولي سير الحركة الوطنية ... لهذا أراني فيما نظمت ناطقا في اكثر المواضع بلسان الراي العام ، ممثلا شعور الامة اقرب تمثيل . بيد اني قد يدفعني شعوري الخاص في بعض المواقف الى الجهر بما لا يحب الجهر به بعض الناس . وذلك لانني لا استطيع حكم عواطفي كثيرا في مثل هذه الشؤون المثيرة للوجد الكمين .. وارى مما لا طاقة للنفس على احتماله في هذه الحال اضمار الحقائق الظاهرة ومغالطة الحس ، ومكابرة الواقع ، والباس المسائل ثوب الرياء والنفاق . »

وعن شعره يقول : « .. ولست بمدع اني استطيع ان اسبح في بحار الخيال ، واحلق في اجواز المجاز ، كما يفعل غالب الشعراء . الا انني اضرب عن ذلك صفحا . واعمد الى الحقائق السهلة ، والمعاني المالوفة ، فاصوغها في صور مناسبة من القول ، كلا فما انا بقائل ذلك، ولا مدعيه لنفسي ، وانما انا مرسل من الشعر بين قومي ما يطمئن اليه قلبي ، وتشعر به نفسي ، ثم يكون للحوادث راويا وللتاريخ واعيا ، وللعامة منبها ، وللخاصة مذكرا ، هذا ما اقوله عن نفسي ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ... »

واخيرا ظهر بالقاهرة ديوان « وطنيتي » في شهر يونيه ١٩١٠ وبدأت بظهوره القصة « البوليسية » وما تخللها من مطاردات ومحاكمات ومغامرات وما غير مجرى حياة الفاياتي ودفعه نحو مصير جديد .. صدر في حجمه الصغير محتويا على نحو خمسين قصيدة ومقطوعة من نظم شاعر في فجر الشباب ، واضطرام العاطفة ، وفورة الوطنية اشبه بخطب المحافل في خطير المناسبات التاريخية ، لحمتها الاخلاص للوطن وسداها الصراحة في القول ، وغايتها الدعوة الى تحقيق العدالة والانصاف ، والحرية والاستقلال .. وقد تحولت اليوم الى صفحات من تاريخ الحركة الوطنية بعد زوال عهد الاحتلال ..

وذيل الناظم كل قصيدة منها بما يوضح المناسبة التي قيلت فيها ، ومكان نشرها وتاريخها .. وصدر الديوان بالمقدمات الثلاث ، ثم بمقالة عن النشيد الوطني الفرنسي « المارسيليز » ونماذج نثرية معربة منه .. وكان من قصائده في الاحداث القومية ما يحمل هذه العناوين : طيف الوطنية ، نحن والاحتلال ، ذكرى دنشواي ، قناة السويس ، نهضتنا النيابية ، مسالة الازهر (عن اعتصابه حتى تجاب المطالب) ، القوانين الجديدة (التي وضعها الاحتلال لمحاكمة الصحافة والطلبة) ، كرومر ، تحية جريدة العلم ، آهة مصري ينوح على مصر ، الى خطيب السلام مرقص فهمي (الذي دعا الى الوفاق بين المسلمين والاقباط) .. ثم خمس قصائد في مصطفى كامل اولاها قبل وفاته : « آية الاخلاص » - وباقيها في رثائه وذكراه .. واخرى في محمد فريد .. ثم النشيد الوطني (الذي وضعه الشاعر راجيا ان يكون لمصر ما لغيرها من الامم نشيد عام قريب من افهام الشعب على اختلاف طبقاته ، وقد حققت الايام رجاءه فتتالت بعد ذلك الاناشيد الوطنية ينظمها الشعراء في شتى المناسبات) .. وكان مطلع نشيد الفاياتي :

نحن للمجد نسير ... ولنا الله نصير
ليس يثنينا نذير ... عن بلاد تستجير
وعباد في حداد

كما نظم في الاحداث الدولية بعض القصائد العاطفية ، مثل : الثورة العثمانية و « الى دنجرا » الطالب الهندي الذي تحدى الاستعمار الانجليزي وحكم عليه بالاعدام :

هنيئا فقيد الهند نلت مدى المجد ... وخلدك التاريخ في مصر والهند

و « السين يضطرب والنيل ينتحب » - (عندما فاض نهر السين عام ١٩١٠ وغرق الارض - فنظم الشاعر تعزية لباريس صديقة مصر يومذاك) .

وكان الفاياتي ، كما سلف القول ، قد نشر قصائد هذا الديوان في صحف القاهرة وبخاصة : اللواء ، والمؤيد ، والعلم، والدستور خلال تلك الاعوام المشحونة بالاحداث القومية والدولية .. واطلع الناس ومعهم رجال السلطات الحكومية على تلك القصائد المنشورة في حينها وكانت كغيرها من حملات الكتاب والشعراء الوطنيين امرا مالوفا في تلك الصحف .. كما أن الحديث الادبي عن الشعر والشعراء في مقدمتي محمد فريد وعبد العزيز جاويش كان خلوا من المآخذ القانونية التي تستدعي المصادرة والمحاكمة انما هي الرغبة المبيتة لدى سلطات الاحتلال واعوانه في الثار من هؤلاء الوطنيين المجاهدين الذين طالما تحدوا ذلك الاحتلال ونادوا بجلائه ، وكشفوا عن مؤامراته ، وطالبوا بالاستقلال والحرية ، والدستور والحياة النيابية، والحد من مناورات الخديوي .. وصدر الامر بمصادرة الديوان ، ومحاكمة الشاعر وكاتبي المقدمتين .. وانتهت التحقيقات والمحاكمات بالحكم على الفاياتي بالسجن مدة سنة مع الاشغال (غيابيا لخروجه من البلاد) ، وعلى الشيخ عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة اشهر ، وعلى محمد فريد بالسجن ستة أشهر (عقب عودته من اوربا في يناير ١٩١١) ثم حبس الناشر والموزع شهرين مع ايقاف التنفيذ !.

ومما يسجل للصحافة العربية في ذلك العهد انها استنكرت جميعا على اختلاف نزعاتها تلك الاحكام ، كما ان الشعب استقبل محمد فريد عند مغادرته السجن بعد ان امضى فيه الستة الاشهر يوم ٢٣ يوليه ١٩١١ بالمظاهرات وحفلات التكريم ، كما قابل عبد العزيز جاويش بمثلها من قبل ..

ويروي لنا الاستاذ « حسين فتوح » رفيق الفاياتي في تلك الايام شيئا من ذكرياته عن تلك الحوادث ، ومما يقول : (٩)

« تقدم الاستاذ الفاياتي لطبع ديوانه ، وتقدمت اليه لمعاونته ، فلازمته في اعداده وطبعه ونشره ، حتى اذا ما ظهر الديوان ، بادر بتوزيعه على الصحف . وكانت جريدة « المؤيد » اولى الصحف التي اهدى اليها الديوان اذ كان الشيخ علي (الفاياتي) يعمل في جريدة « العلم » - جريدة الحزب الوطني اذ ذاك وكانت تطبع في مطبعة المؤيد، فكان التجاور داعيا الى تقديم المؤيد على غيره من الصحف . وما ان مثل ديوان « وطنيتي » بين يدي المرحوم الاستاذ الشيخ علي يوسف

---

٩ - منبر الشرق عدد ٧ سنة ١٩٣٨ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صاحب المؤيد حتى ثار وهاج ، وكتب مقالا حادا اغرى فيــه الحكومة على الديوان وصاحبه . واطلع الاستاذ الفاياتي على هــذه المقالة ، وكتب الى المرحوم الشيخ علي يوسف ردا هائجا ايضا ... »

ثم يتابع ذكرياته راويا كيف بدأ « البوليس » يتحرى عن المطبعة والمكتبات المودع بها الديوان ، وبانت نيات السلطات ، فنصح اصدقاء الفاياتي له بمغادرة البلاد . وحصلوا لــه على تذكرة للسفر الـى استنبول على احدى البواخر التي تقلع من الاسكندرية كل اسبوع .. وكيف عزم الفاياتي على السفر الى دمياط ليودع والديه واهله قبل الرحيل ، ولكنه ارغم على السفر توا الى الاسكندرية بعد ان داهـم البوليس ادارة جريدة « العلم » ، وفتش بها مكتبي الفاياتي وجاويش، واتجه الى منزل الفاياتي بحارة سليم بحـي عابدين .. وفي القطار تعرف شاعرنا الى ضابط تركي كان جالسا بجانبه ، وكان عائدا الـى موطنه استنبول من رحلة للصيد بالسودان ، ومعه بعض النمساويين. وكان له الفضل في رعاية الفاياتيواصطحابه بالفندق وفي الباخرة حيثلم يكن معه جواز للسفر .. وفي الاسكندرية استبدل صاحبنـا ملابسه ببذلة افرنجية ، وقصر شاربه ، ولبس نظارة سوداء ، وسار في الميناء على يمين الضابط الكبـير والجنود تحييهمـا ، بينما كانت عيــون « البوليس » في الميناء تبحث عن لابس العمامة !..

* * *

وبيدأ « الفصل الثالث » بخروج الفاياتي من وطنه مهاجرا طريدا لا يملك من حطام الدنيا غير حقيبة ملابسه وقليل من الدراهم ليعيش مقتربا مكافحا طوال سبعة وعشرين عاما ..

خرج من ميناء الاسكندرية بعد ظهر الاربعاء ٦ مـن يوليه ١٩١٠ وكانت المرة الاولى التي يركب فيها البحر ، وقاسى منـه الاهوال .. حتى بلغ استنبول بعد ظهر الاثنين ١٢ من يوليه .. وكان اول مـن التقى به هناك مراسل جريدة « المقطم » وعلم منه ان رجال الامـن يبحثون عن صاحب « وطنيتي » من دمياط الى مرسيليا ، ثـم بادر الصحفي فابرق الى جريدته بالخبر ، وعرف الناس جميعا ان شاعرنا مقيم باستنبول ...

واتصل الفاياتي عقب وصوله هناك بادارة جريدة عربية تسمى : « دار الخلافة » كان يصدرها مجاهد ليبي فتولـى رئاسة تحريرها ، واخذ ينشر بها المقالات المنيفة ، كما نشر بها قصيدة بعنوان « مصر ودار السعادة » حيى بها مضيفيه ثم نادى أهـل مصر : « ان يقضوا بحد السيف حقا ناله من مصر ذاك الطامع المستعمر » .. وعندئـذ اصدرت « نظارة الداخلية » بمصر قرارا بمنع دخول هذه الجريدة او تداولها في القطر المصري ..

ثم التقى هناك بمحمد فريد وكان في طريقه الى مصر ليقدم نفسه للمحاكمة على كتابة المقدمة .. وعرض الفاياتي عليه العودة معـه اذا كان في ذلك فائدة له في المحاكمة ، فلم يقبل فريد لان عودته انما تزيـد عدد المسجونين واحدا .. ثم عرض عليه قصيدة ينوي نشرها بمجلة « صراط مستقيم » في استنبول ، وفيها يصف الحوادث التي ادت الى هجرته من الوطن ، ولم يشأ ان يذكر بها اسم محمد فريد حرصا عليه قبل نظر القضية ، فلم ير فريد باسا من ذكر اسمه ، وهي القصيدة التي جاء بها :

ولست أرى سجن الكرام مهانـة   ولكنه للمجد والحمد جامـع
فان سجنوا « عبد العزيز » فانه   لـه بـين حبات القلوب مرابـع
فما لهمو والغيظ يغري قلوبهـم   « جنيت » فراموا بما انا واضع
وراموا « فريدا » مثله وترقبـوا   لقاه وفي هـذا اللقـاء مصارع
اذا كنت بالتاليف اصبحتجانيا   وسجني عاما فيـه للحر قامـع
فمـا كان تقريظ الكتاب جنايـة   ولكـن اعـداء البـلاد تخـادع
لقـد حسبوها فرصة فتربصوا   عسى ان تروع الشعبتلك الزعازع
وما الشعب الا صارم جاد صقله   وكل سجني منـه مـا هـو زادع

ولم يستبعد الفاياتي ان تطالب الحكومة العثمانيــة بتسليمـه واعادته الى مصر فاستشار في ذلك وزير الداخلية التركية فافتى بأنه لم يتلق بعد طلبا رسميا ، واذا حدث اخبره بذلك ليرحل الى مكـان آخـر ..

وسكن الفاياتي في استنبول مع بعض الطلاب العرب عنـد أسرة ارمنية ، وكان يلتقي في المقاهي بمواطنيه المقيمين والعابرين ومنهـم محمد فريد ، وعزيز المصري (الضابط في الجيش التركي يومذاك) ، والشيخ محمد رشيد رضا ، وعبد الحميد الزهراوي (مـن حماه) ، والصحفي محمود عزمي (الطالب حينذاك بباريس) .. وغيرهم ..

ثم قر رأيه على مبارحة البلاد العثمانية الـى مدينـة جنيف بسويسرة لما سمعه من التجاء الاحرار وطلاب العلم من العرب اليها .. ولما كان غير ملم من اللغة الفرنسية الا بالقليل الذي تلقنه بالقاهرة في مدرسة ليلية انشأها الشيخ عبـد العزيز جاويش لتعليـم الشبان الراغبين في السفر الى فرنسا للالتحاق بجامعاتها ، وكان مدرسوها من طلبة القانون المتطوعين ، فقد بحث الفاياتي عمن يعلمه مبادىء هـذه اللغة ، وحفظ منها شيئا ..

وفي مساء ٢٩ نوفمبر ١٩١٠ غادر شاعرنا استنبول بقطار الشرق، مجتازا بلغاريا و (الصرب) ، ونزل في بودابست ساعـة ، وقضى في فيينا عاصمة النمسا يوما ، ثم دخل سويسرة وبلغ جنيف يوم ٣ مـن ديسمبر ١٩١٠ واستقر بها واتخذها مهجرا وموطنا ومنبرا طوال تلـك السنوات السبع والعشرين ..

جاء الى جنيف بمفرده شابا في الخامسة والعشرين بلا عمل ولا مال ولا لغة اجنبية يتفاهم بها مع الاهلين .. وراح يتنقل مـن مأوى متواضع الى آخر ودليله اول الامر طالب مصري استقبله عند وصوله. ورأى ان يكسب عيشه من تدريس اللغة العربية بمدرسة « برليتز » الالمانية ، ومن دروس خاصة للطلبة العرب ، وراسل جريدة « العلم » بالقاهرة فترة لم تدم غير شهرين .. وفي خلال ذلك كان يتعلم اللغـة الفرنسية على بعض المدرسين .. ثـم التحق طالبا بكلية العلـوم الاجتماعية في جامعة جنيف ، وواظب على حضور المحاضرات والدروس ثلاث سنوات حتى اوائل الحرب العالمية الاولى ووطد صلته بعدد من الاساتذة والطلاب وبخاصة مع الاستاذ « ادوار مونتيه » عالم فرنسي الاصل عرف بدراساته العربية ومؤلفاته الاسلامية ـ ولكنه لم يتقدم لاي امتحان ، ولم يحصل على اية شهادة لما كان يتطلبه ذلك من بعض الالتزامات المالية ، ولانه كان قد تزوج عام ١٩١٢ بفتـاة سويسرية ، وأسس أسرته هناك .. ومع ذلك فقد زادت ثقافتـه واتقانه للغـة الفرنسية ومعرفته بالوسط الجديد ..

وعندما شبت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) قلت موارده المالية لسفر اكثر تلاميذه الى بلادهم ، ولما ساد المعيشة من غلاء .. فسعى الى عمل في الصحف السويسرية ، يترجم لها الانباء ، ويكتب المقالات بالفرنسية في شؤون الشرق والاسلام وكان من تلك الصحف : « تريبون دي جنيف » وقد حرر بهـا عشر سنـوات (١٩١٤ ـ ١٩٢٤) ، و « جورنال دي جنيف » و « لا سويس » و « غازيت دي لوزان » ، الصادرة من مدينة لوزان ..

ورأى ان يستقل بجريدة يصدرها بالفرنسية تدافع عـن قضايا الشرق عامة والشرق العربي خاصة واختار لهـا اسم « لا تريبـون دوريان » أي « منبر الشرق » . وكانت جنيف في ذلك الوقت مقـرا لجمعية الامم ، ومركزا دوليا هاما . وكان من رأيه ان نشر جريـدة شرقية بالفرنسية في هذا الوسط ، له مـن الفائدة للشرق وقضاياه ما لا يخفى ..

ولم يلق عقبة في اصدار جريدته وظهر العدد الاول من « منبـر الشرق » بجنيف يوم ٥ من فبراير ١٩٢٢ ـ نصف شهرية وفي اربع صفحات ـ ثلاث بالفرنسية وصفحة بالعربية . وكانت هـذه الصفحة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العربية كما يروي في مذكراته اشق عمل يؤديه ، فقد كان يسهر الليل في كتابتها بخط يده بحبر أسود صيني ثم يسلمها الى مصنع خاص ينقلها على صفحة من صاج ، وتعود اليه ليصححها بقلم من الحديد قبل ان يبدأ الطبع !. وقد ترك هذه الطريقة بعد حين وجرب الطبع على الحجر ، الى ان استطاع شراء حروف عربية من برلين ، وتدرب على صفها بنفسه .. قال انه قضى مرة اربع عشرة ساعة في صف صفحة عربية واحدة !.

ويذكر ان غرضه من نشر هذه الصفحة العربية بجريدته الفرنسية : « حفظ الصلة مع البلاد العربية ، ولكنه وجد هذه البلاد لا تعيرها ما يجب من الاهتمام . ولما كان الغرض الاول والاخير هو الدفاع عن حقوق الشرق الناهض بلغة يفهمها الوسط الدولي الذي نعيش فيه ، فقد رأينا الاقتصار على الفرنسية ، ونشر جميع الصفحات بها . اللهم الا اسم « منبر الشرق » الذي احتفظنا بنشره احيانا بالعربية على سبيل الرمز والذكرى .. »

ويرى في أعلى الصفحة العربية من العدد الاول لمنبر الشرق ـ والمكتوبة بخط يده ، هذه الشعارات : « الشرق للشرقيين » ـ « منبر الشرق جريدة نصف شهرية ، انشئت للدفاع عن حقوق الشرق الناهض ـ تصدر بالعربية والفرنسية في جنيف مركز جمعية الامم ».. ثم تاريخ العدد بالتقويم الهجري والقبطي والميلادي ..

وفي ذلك العدد الاول نجد مقدمة موجزة بعنوان : « ما اردناه وما نرجوه » ثم كلمة بعنوان : « الى سعد باشا » (زغلول) ختمها بابيات في مدحه ، اذ كان يقود الحركة الوطنية في تلك الاعوام .. ونرى في القسم الفرنسي من المقالات : « الشرق والغرب » ـ اضطراب الشرق ، وحالة ايران ـ المذابح ـ المسألة السورية ـ شؤون مصر ـ رسالة علي بك كامل ، نداء حرم زغلول باشا ...

وثابر علي الغاياتي على اصدار « منبر الشرق » في جنيف نحو ستة عشر عاما .. وقد صدر آخر عدد من هذه الجريدة هناك في ٢٦ مايو ١٩٣٧ حين تهيأ للعودة الى وطنه ونقلها معه الى القاهرة .. وكان جل اعتماده في سد نفقات صحيفته على الاعلانات التي كانت تغدقها عليه المتاجر والبيوت المالية في سويسرا .. ولكنه صادف في عمله الصحفي الكثير من العقبات ، منها منع سلطات الاحتلال دخول « منبر الشرق » الى مصر ، بل ومنع الصحف السويسرية التي كان يكتب فيها معارضا الاحتلال ، ومؤيدا ثورة ١٩١٩ من الدخول بمصر .. كما منعت بالمغرب وتونس المشمولتين بحكم فرنسا وقتذاك ..

وحدث بعد ان مرت خمس سنوات على الحكم عليه بالسجن في قضية « وطنيتي » فسقط الحكم قانونا ، ان طلب زيارة وطنه ليرى أهله وصحابه ، وليوافي بعض الصحف السويسرية برسائله من مصر مدة اقامته بها .. وكان معه تفويض بذلك من هذه الصحف التي خابرت الحكومة المصرية بذلك وجاءها الرد بالموافقة .. وسافر الغاياتي من جنيف يوم ١٥ يوليه ١٩١٥ ووصل الى الاسكندرية يوم ٢٢ يوليه . وكانت الحرب العالمية الاولى ناشبة ، والحماية الانجليزية معلنة على مصر .. والاحكام العرفية .. والسلطان حسين كامل على العرش بعد خلع الخديوي عباس ، وكان الغاياتي قد صرح في جريدة « تريبون دي جنيف » بأن اعلان الحماية قد يؤدي بنا كمصريين الى توحيد الجهود ، والمحاربة في ميدان واحد ضد عدو واحد . اذ اننا بدل الاتجاه في جهادنا احيانا نحو السراي ، او نحو دار العميد البريطاني ، او نحو الوزارة المصرية ، بتنا بعد اعلان هذه الحماية وتحديد المسؤولية ، لا نرى امامنا الا جهة واحدة نحشد قوانا جميعا لمطالبتها ومؤاخذتها وقتالها ... »

وجاء الغاياتي الى مصر زائرا ومهادنا الحلفاء في الحرب ، منتظرا نهايتها ، ومجاملا السلطان حسين كامل بقصيدة حملها معه بعنوان : « عودتي بعد هجرتي » عبر فيها عن حاله الخاصة والحال العامة اذ ذاك ، ضمانا للاقامة في سلام .. ولدى نزوله بالاسكندرية زار احمد زكي باشا ـ سكرتير مجلس الوزراء ـ في داره ، وعرض عليه تلك القصيدة فاشار عليه بالذهاب فورا الى سراي رأس التين وتقديمها الى رئيس الديوان لرفعها الى السلطان .. وقد كان . وتقبل السلطان القصيدة قبولا حسنا .. ثم علم ان رئيس الوزراء حسين رشدي باشا يرغب في مقابلته ـ وعندما ذهب اليه اخبره بانه تلقى معلومات تنص على ان الغاياتي انما جاء الى مصر « في مأمورية للخديوي المخلوع عباس » ! ـ وهو لذلك يسأله عن اسماء كل من قابلهم او كتب اليهم عند وصوله الى الاسكندرية !. ولما نفى الغاياتي هذه المزاعم ، قال رشدي باشا انه سيرى ما يرى ، وسيدعوه الى مقابلة اخرى ..

وبقي شاعرنا سبعة ايام في الاسكندرية ينتظر .. ووضع خلالها تحت المراقبة .. ثم طلب لامر ما بدار المحافظة وهناك قابله « انجرام » رئيس البوليس ، واخبره بأن رشدي باشا يريد مقابلته في القاهرة ، وانه سيذهب في صحبة احد المخبرين ـ أي تحت الحراسة ـ وفي محافظة القاهرة علم من « الحاكمدار » الانجليزي هارفي باشا « ان دولة رشدي باشا أمر بأن يبيت الشيخ الغاياتي في المحافظة (اي سجينا) ، وان يرسل لمقابلته صباحا .!! »

وقضى الغاياتي تلك الليلة في سجن المحافظة ، ونقل في الصباح الى منزل رشدي باشا حيث اخذ يحقق معه فيما بلغه عنه من اتهامات ، ثم أمر بترحيله الى الاسكندرية ، وهناك زج في سجن المحافظة ، وظل محبوسا تسعة ايام !. وفي صباح ٩ من اغسطس ١٩١٥ طلب الى مقابلة « انجرام » الذي ابلغه بقرار اخراجه من البلاد على نفقة الحكومة !. واعطى جواز سفر كتب عليه ما يفيد انه مطرود من مصر بأمر من الحكومة !!.

ورحل الغاياتي في اليوم نفسه طريدا عائدا الى جنيف .. بعد ان قضى في وطنه تسعة عشر يوما منها ١٢ يوما في السجن ، والباقي تحت المراقبة !. ولم يستطع رؤية والديه واهله .. وعلم فيما بعد ان والدته حضرت الى الاسكندرية لتراه ، ولم تهتد الى مكانه .. فعادت الى دمياط عليلة وتوفيت بعدها بعامين ، ولحق بها والده فمات بعد عامين آخرين ..

ويضيف الغاياتي في مذكرات شيخوخته قوله : « ومما يذكر ان حسين رشدي باشا في أخريات أيامه أراد ان يكفر عما مضى ، فعضد (منبر الشرق) وجمع له بعض الاشتراكات ، رحمه الله وعفا عنه !..»

عاد الغاياتي الى مهجره ومكان عمله وبيته بجنيف يوم ١٦ من اغسطس ١٩١٥ حيث واصل اصدار جريدته « منبر الشرق » بالفرنسية .. ويذكر العائدون الشرقيون من سويسرة ان دار جريدته هناك كانت ملتقى الاحرار العرب ، وكانت منتدى سياسيا ، ومركزا للخدمات التي يقوم بها الغاياتي لمن شاء من اخوانه العرب المغتربين.. كما كانت صحيفته منبرا تعلن فوقه اماني الشرق والعروبة ، وتدعو الى الوحدة العربية ، وتحرر الشرق جميعا من نير الاستعمار والاستغلال .. وكان خير سفير لبلاده في ذلك المجتمع الدولي . ولم ينس في الوقت نفسه اصدقاءه بمصر ، واهله بدمياط ، واخوانه في العروبة ، كان يكاتبهم ثم كان يراسل جريدة « الاهرام » من جنيف ، بصفة رسمية دائمة .. مندوبا صحفيا لها هناك ..

وحدث ان صدر امر بمنع دخول « منبر الشرق » الى مصر في شهر يونيه ١٩٢٢ في عهد وزارة عبد الخالق ثروت بزعم انها تنشر انباء مضللة واقوالا ماسة بحكومته وبالملك فؤاد .. ورفع هذا المنع في صيف ١٩٢٤ في وزارة سعد زغلول مصحوبا بالتصريح للغاياتي بزيارة وطنه متى شاء ..

وطوال اقامة الغاياتي بسويسرة ، كان اولاده وبناته الذين تثقفوا هناك بعيدا عن كل جو عربي او اسلامي ، يتمسكون كوالدهم بشعائر الدين . وكان اذا حان موعد الصلاة ، جمع أهل بيته ، وامهم لاداء الفريضة .. وقد عني بتنشئتهم على حب بلادهم العربية ولغتها وعاداتها .. وزوج بناته لبعض شباب مصر النابهين ، (ومنهم الشاعر

المعروف مختار الوكيل) .. وعندما فقد ابنه البكر في زهرة العمر ، لم يسمع منه الا ذكر الله والتسليم لمشيئته .. (١٠)

* * *

اما الفصل الرابع والاخير من قصة علي الغاياتي ، فيبدأ يـوم دعي شاعرنا الى حفل اقامته القنصلية المصرية بقاعـة الشاي في قصر « مونتريه » بسويسرة في شهر ابريل ١٩٣٧ وهنـاك التقى بوفـد مصر الى « مؤتمر مونتريه » وطلب اليه الوفد ان يعود الى وطنه ليواصل خدمته تحت سمائه ..

وعاد المغترب الى بلاده يوم ٢٨ يونيه ١٩٣٧ بعد غيبة طالت نحو سبع وعشرين سنة لم ينقطع خلالها حنينه اليها والى اهلها ، ورغبته في ان يدفن في ثراها .. عاد مع عائلته وجريدته ليقيم بالقاهرة بقيـة حياته .. وهنا رأى الاحوال السياسية تبدلت نوعا ما عما كانت عليه قبل هجرته ، وان كان ظل الاحتلال لم ينقشع بعد .. ورفـاق جهاده وشبابه رحلوا الى الدار الباقية .. ووالداه وابنه ، وجل اصدقائـه وخصومه سبقوه الى العالم الآخـر .. وزار مسقط رأسه مـرات ، وسافر الى الحج مرة عام ١٩٤٦ .. ومال الـى الزهد والاعتكاف ، وعاش في حرمان وكفاف .. ولو لم ينقطع عن الكتابة الـى اليـوم الاخير ..

وما ان استقر الغاياتي بالقاهرة حتى طلب اليه (عـام ١٩٣٨) الانضمام الى هيئة تحرير جريدة « السياسة » اليومية ، وكان يشرف على تحريرها عامئذاك عبد القادر حمزة .. فكتب بهـا بعض المقالات الوطنية ، ثم تركها بعد فترة قصيرة ليستقل بجريدته « منبر الشرق ». وظل يصدرها بالعربية اسبوعية ، سياسية ، ادبيـة ، اجتماعية ، حتى اليوم الاخير من عمره (١٩٥٦) .. وما زالت مجلداتها في عهدها القاهري (١٩٣٨ ـ ١٩٥٦) تختزن مقالاته وتعليقاته وقصائده ، ثـم ذكرياته التي سجل فيها ما لاقى في وطنـه وفي مهجره مـن احداث وطرائف . وقد بدأ في كتابتها في مايو عام ١٩٥٢ وما تلاه ، وتمتـاز بالصدق والصراحة في ايجاز وسلاسة .. ويكملها مـا ورد في ديوانه « وطنيتي » من قصائد وايضاحات ، وما كتبه عنه اصدقاؤه ومريدوه من الذكريات ..

كما طوت مجلدات « منبـر الشرق » في عهدهـا السويسري (١٩٢٢ ـ ١٩٣٧) الكثير من مقالاته العربية والفرنسية ، وحملاتـه السياسية والاصلاحية التي تابعها في عهدها القاهري مـع اختلاف في المناسبات التاريخية المتطورة .. وتعد في جملتها من صفحات التاريـخ القومي بمصر والشرق في العصر الحديث ..

وقد صادف الغاياتي الكثير من المصاعب المالية في اصدار صحيفته بالقاهرة ، وبخاصة لانه كان يرفض نشر الاعلانات الماسة بمبادئه ومثله، كاعلانات الملاهي والخمور وشركات الاستغلال ونحوها ..

وبالقاهرة أعاد طبع ديوانه « وطنيتي » ـ في فبراير ١٩٣٨ ـ فلما أن شبت الحرب العالمية الثانية جاءه (في يوم من يونيه ١٩٤٣) بعض ضباط القلم السياسي بايعاز مـن سلطات الاحتلال ، للبحث عـن الديوان ومصادرته ، ولما لم يجدوه لديه ، استكتبوه تعهدا بالا يطبعه او يوزعه ما دامت الحرب قائمة .. فلما انتهت الحرب أعـاد طبع ديوانه للمرة الثالثة ـ في فبراير ١٩٤٧ ـ فانتشر ، ولم يصادر بعـد ذلـك ..

ومما يروي اصدقاؤه عنه « انه عـام ١٩٤٧ والقضية المصريـة معروضة على مجلس الامن ، سمع (الغاياتي) خطاب المندوب البلجيكي في المجلس يعارض حق مصر في الاستقلال فقصد الى سفارة بلجيكا في القاهرة ليرد اليها الوسام الذي أهدى اليه من الحكومة البلجيكية قبل سنتين ، وكان في اليوم الذي يرد فيه الوسام الذهبي يبحث عن ثمـن الخبز لاولاده .. »

وأتيح للغاياتي ان يشهد ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ في بلاده، ثم يرى زوال الاحتلال ، وتأميم قناة السويس ، ومطالع النهضة العربية ، فايد العهد الجديد طوال السنوات الاربع قبل وفاته .. وكانت وفاته يوم ٢٧ من اغسطس ١٩٥٦ مخلفا من الآثار الادبية : ديوان « وطنيتي » وبـه قصائده حتى عام ١٩١٠ ـ وديوان « هجرتي » ـ ولما يطبع بعـد ـ ويتضمن قصائده ـ فيما بـين ١٩١٠ ـ ١٩٥٦ وبعضها منشور في الصحف والمجلات .. ثم مقالاتـه السياسية والاجتماعية والقوميـة المنشورة في « منبر الشرق » وسائر الصحف خلال خمسين عامـا .. ومذكراته في منبر الشرق وغيرها وقد جمع منهـا الكتـاب المسمى : « فجر الثورة » ١٩٦٧ .. كما نشر له كتيبان احدهما بعنوان : « على هامش الحج » ١٩٤٧ (واعيد طبعه ١٩٦٣) .. والثانـي في السلوك بعنوان : « قلة ذوق » ١٩٥١ .. ومع ذلك فان سيرته وجهاده كانا اجل ما خلف بعده ..

الاسكندرية — نقولا يوسف

١٠ ـ كلمة عن الغاياتي لحافظ محمود ، واخرى لاحمد حسين في كتاب مذكرات الغاياتي : « فجر الثورة » ١٩٦٧ .

غـربـة

الغربـة دائـي .. والبعـد
والوحشة تعصف .. تشتـد
والوحـدة تنهشنـي أبـدا
أبـدا لا يرأف بـي سهـد
الغربـة والامـل الـذاوي
وأمـان .. أغراهـا المجـد
فتهاوت في صمـت خـاو
وتوارت .. اذ ضـاع القصد
أسريت غريبـا .. يـا ويلـي
ضاعت أيامـي .. والجهـد
وحـدي لا يرحمنـي ليلـي
ويمـوت بأعماقـي السعـد
فلقـد عـاودت حكاياتـي
والذكرى .. مـذ كان الوجد
ولقـد أطلقت خيالاتـي
فتناهت .. وازداد القيـد
وبقيـت هنـا لا يشغلنـي
شغـل .. او يلهينـي نـد
يغتـال فراغـي .. يقتلنـي
سأم .. والغربة .. والبعـد

الكويت — ناصح محمود القاسم

ايقظة بعد الحلم

صحوت على صوت النذير وليتني ... طويت شبابي ناعس الطرف أحلم
تنبهت مذعورا كما هب نائم ... على صرخة ينعي بها الميت مأتم
وكان لذيذ الحلم ينعش خاطري ... فالهو به لهو الغرير وأنعم
أنمق آمالي عرائس فتنة ... أهش لمرآها طروبا وأبسم
وأحسبها طوع البنان فان أشر ... دنا طيرها الشادي علي يحوم
يرف بهيجا فوق رأسي جناحه ... فيسكر سمعي شدوه المترنم

. . . .

أمد يدي للنجم أقبس نوره ... فتشرق في كفي شموس وأنجم
وأسأل هتان السحاب نميره ... فتهمي عزاليه كما فاض عيلم
وينتفض القفر اليباب حدائقا ... يطوف بها الفنان خلوا فيلهم
هي النشوة الكبرى ترنح مسمعي ... بأحلى حديث لا يفيه مترجم
نأى اليأس عن نفسي فليس لطمعي ... حدود أوافيها ، وثمة أحجم
اذا نهضت بعض الصعاب حقرتها ... فأبصرها منهارة تتحطم
يقوضها مني تفاؤل ساذج ... له اللهو طبع ، والبراءة توءم
خلا أمسه مما يسيء فلم يعد ... يفكر في آت مع الغد يؤلم
مضى يرمق الازهار في السفح ناهضا ... على كثب من عطرها يتنسم
فماذا جرى هل رجت الارض رجة ... فثارت براكين اللظى تتضرم
لصار أرق الناس أقسى مشاكس ... يخاتلني منه على البغض ارقم
لاصبح رقراق الغدير بمقلتي ... تقبض وجه حاقد يتجهم
لاصبح نفح الروض لفح سمائم ... تسوق سوافيها علي جهنم
لصار ابتسام الثغر حيلة غادر ... يخدرني جهلا بها فانوم
لعاد بصيص اللحظ رقبة فاحص ... يعالج تدبيرا لشرى يرسم
لآض سلام الكف للكف معقبا ... بأنفر جرح ماله الدهر بلسم
لصار اجتماع اللهو سترا مزركشا ... تكشف عن كيد يرام فيحكم
لبات اصطفاء الاصدقاء مزلة ... حسبناه غنما رابحا وهو مغرم
كشفت لهم مكنون قلبي جهالة ... فصالوا ببهتان الظنون ورجموا
سعوا لاحبائي ليرقوا مكانتي ... وما غير أسراري البريئة سلم
لئن كان ذنبي أنني ذو صبابة ... فكيف انتحوا منحاي حين تيتموا
أيحرمني حبي رضاها ، وحبهم ... مراق الى مرضاتها تتسنم
أيصبح شيء واحد ذا تناقض ... فيشقى به فرد وآخر ينعم
لعمر الصداح العذب في نبراتها ... لقد هاجني منه الهتاف المنغم
لعمر الشذا الفواح في وجناتها ... لقد شاقني والروض بالعطر مفعم
لعمر السنا الخطاف في نظراتها ... لقد غام أفقي بعده فهو أقتم
مضت فمضى عطر الحياة وانما ... صحوت لالقى ما يهول ويعظم

الفيوم ــ دار المعلمات ... محمد رجب البيومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بقلم الانسة ضياء قصبجي



القطة تموء .. والساعة تدق .. وثمة صخب داخلي .

اني احيا كما يحيا أي فرد عادي جدا ، آكل كما يأكل اي انسان عادي جدا ، انام كما ينام أي انسان عادي جدا .. لكني ابدا لا افكر كأي فرد عادي جدا ..

افكر في كثير من الامور ، وكثير من الغرائب ، وكثير من اللاشيء ، هذا اللاشيء الذي يسمى الوهم لماذا اتوهم ؟؟ لماذا يعيش الوهم في داخلي كأي شريك لي ، يحدثني ويؤلمني ، لكن بصمت فأنا ابدو صامتا بيد ان الحديث دائر بيني وبين وهمي ، كأني واياه صديقان مخلصان لا اتركه ولا يتركني ، لا اقتله ولا يقتلني ، لكن لم الكذب؟ نحن لسنا صديقين حميمين ، فأنا اكرهه كثيرا ودائما اسعى لتحطيمه ، وهو دائما يسعى للسيطرة علي .

اني صحيح الجسم ، لكني دائما اخشى المرض واتحاشاه ، وافكر بانواعه ومسبباته .

اني واثق من لمى حبيبتي ، واثق من حبها لي ، لكني دائما اتوقعها خائنة ، واحاول ان افاجئها في جرم خيانتها لي ، لكني ارتد خائبا ، وخجولا ، وآسفا . انها بالفعل تحبني والا ما كانت لتقول لي احبك . لكني البارحة شاهدت فيلما فرنسيا ، تخون فيه البطلة حبيبها ، رغم انها تحدثه عن حبها، وتخرج معه في نزهات شاعرية ، فلم لا تكون لمى مثلها ؟ ان المراة شيء غريب . هكذا يقال ، لم آت بشيء من عندي . اذن فلادقق في احوالها ، ولاكثر من مفاجآتي لها .

القطة تموء .. والساعة تدق .. وثمة صخب داخلي .

لا شك ان هذه القطة مريضة ، او جريحة شعور ، او ارملة ، قد مات (هارونها) وترك لها قططا صغارا يزيد عددهم عن المائة ، وهي لا تدري من اين تعيلهم ، او كيف تسرق لهم اللحمة ، انهم في حاجة الى رطل من اللحمة ، ومن العار ان تسرق من اسرة ، رطلا من اللحمة وتتركها بلا طعام ، انها صاحبة ضمير .

القطة ما زالت تموء ، صوتها ضئيل ، ناعم كالحرير ، لكنه يخرز كالمخرز في اعصابي التعبة . من أي شيء ، انا متعب ؟؟؟

اموري تسير على ما يرام . عملي . لم اطرد منه ، والداي لم يصبا علي جمام غضبهما ، لمى تحبني ولم تكرهني بعد ، ولم تبرم شفتيها متجاهلة لي ، منكرة لعهدي ، سائلة بجحود ، وعدم ود . من انت ؟ انا لا اعرفك . لكنك تعرفينني يا كاذبة ، البارحة فقط كنا معا ؟ يهيأ لي انها ستقول: كلا لست انت ، انا لا اعرفك ابدا ، لعلك مخطىء . أف لم استبق الامور السيئة ، فأنا لم اسمع هذا وان كنت اتوقعه كل لقاء ، بيد انه لم يحصل ولا مرة ، اذن . لمى تحبني ، ولم تنكرني حتى الآن ، ولم تكره شكي وظنوني ، وغيرتي .

يجب ان اكون سعيدا فأنا موفق في كل شيء ، حتى صحتي جيدة ، فلماذا إذن تموء القطة بهذا الشكل الرديء المثير للاعصاب ؟؟ لكن فلاتجاهل هذا فما دخل موائها في نفسي . لتمت من الالم ، ما شأني بها ؟؟ ليست سوى قطة .

القطة تموء .. كرهتها هذه المتشائمة من حياتها ، انها مثلي ، وددت لو اركض اليها فافصل بيدي عنقها عن جسمها . واتخلص من موائها ، لا . لا يطاوعني قلبي ولا ضميري ، كيف اقتلها ، واترك صغارها اليتامى بلا معيل ، ولا أم تحنو . ما هي وظيفة الام ؟ الحنان فقط ؟ لكني استطيع ان احيا دون حنان ولا استطيع ان احيا دون طعام. نحن في الوقت الحاضر بحاجة لام تقسو ، لا لام تحنو . الام ذات الحنان تنتج بضاعة مهلهلة ، والام القاسية تنتج بضاعة قوية ، صارمة ترى ؟ هل يحق لي ان اشبه الاولاد بالبضاعة ، والام بالمصنع الذي ينتجها ؟ نعم يحق للاديب ان يحول الامور العاطفية الى مادية ، ويحول الامور المادية الى معنوية ، لم لا ؟ طالما ان الامر لم يتعد اطار الادب ، والادب الذي يمسح اعماق النفس ، لا توجد فيه اية فكرة غريبة . مهما كانت غريبة .

القطة تموء .. والساعة تدق .. وثمة افكار داخلية تغلي على مرجل نار .

اذا تركت القطة وشأنها .. فكيف اترك الساعة ودقاتها ؟؟ تزعجني دقات الساعة .. تمطرني ازعاجا تعدني عدا كأرقام .. انا لست رقما ايتها الساعة ، انا لست رقما ، انا انسان يعيش ، الزمن ملك له ، خالقي لا يحاسبني عليه ، فما بالك انت تعدين علينا الدقائق، وتحسبين علينا الثواني ، وتنذريننا دون ، نسيان مرة ، تنذريننا بدقة كل نصف ساعة ، ودقات كل انتهاء ساعة ، فتذكريننا بانها راحت من عمرنا واقتربنا من الموت اكثر ، ايتها الساعة الوضيعة ، (جلابة الشقاء)

والنقمة ، ما اخبث نواياك ، وما اشد قسوتك ؟. على الاقل دعيني وشاني ، الا تكفيني همومي ؟ الا تكفيني مخاوفي واوهامي ؟ انك اشد عذابا لي من اي عذاب آخر اعانيه في هذه الحياة التي تشح منها السعادة شحا .

انها تدق ، تدق ، تهمس هذا الهمس المزعج ، كم يزعجني الهمس؟ انه طمس للحقائق ، انه تمويه للحق . حقير كل من يخفي صوته ويهمس همسا ، ولو كان على حق وجراة ، ما لجأ الى خفضه .

لكن لماذا اتمادى واضع الحق كل الحق على الساعة ، هل هي مسخرة من قبل الله لعد الزمن ؟! ان الانسان هو الذي اخترع آلة تعذيبه بيده وبعقله ، الله وهبنا العمر والزمن ، ونحن اخترعنا له عدادا ، والانكى من هذا ان والدي هو الذي اشتراها ، وهو الذي يفرك قرصها بيده كل يوم ليغذيها فتستمر في عقابها ، ساخفي هذا المفتاح الصغير الذي يضمه في القرص ويديره مرات ومرات بشكل دائري ، حيث تصبح كالسيارة المعبأة بالوقود فتسير حتى تفرغ ، لكن الساعة لا سائق لها ، تسوق نفسها بنفسها .

اما انا فلقد خلصت نفسي من هذا العقاب ، فلم اشتر كل عمري ساعة لاضعها في يدي ، لكن كيف انكر اني دائما استرق النظرات اليها لاضبط الوقت وهو يهرب ، عندما اكون مصلوبا ست ساعات خلف مكتبي ، استرق اليها النظرات سرقة ، كزوج يختلس النظرات من حسناء تجلس قرب زوجها .

الست أسر عندما اجد عقاربها تشير الى الثانية موعد انتهاء دوامي ؟؟ لماذا ابالغ ؟ صحيح انني لا اضع في يدي ساعة ، لكنني استيقظ على صوت المنبه الذي يهيئه لي والدي ، وآكل وارتدي ثيابي على برامج اذاعة دمشق ، فكل يوم ازعج نفسي بسماع برنامج (مرحبا يا صباح) البرنامج السخيف الذي لم يهترىء شريط تسجيله ، ولم ينضب خلال كثير من الاعوام ، والذي يفرض علي فيه ، سماع صوت فيروز ، وتكرار اغنياتها القديمة ، بالاحرى تدخل اذني على الرغم مني ، فتلك طبيعة الاذن ، انها بلا باب ، وهي مصممة لتنقل كل صوت الى النفس ، سواء كان رديئا او حسنا . انا احيانا اتمنى ان يكون لاذني بابين اغلقهما عندما اريد ، وافتح بابيهما عندما اريد .

المهم اني استمع (لست انا الفاعل لفعل استمع ، لعل اللغة النحوية لم يفطن واضعو قواعدها الى جعل هذا الفعل لا فاعل له ، فعل استمع) . ثم استمع الى نشرة الاخبار في الساعة السابعة والربع ، ثم التعليق على الاخبار ، ثم بعض اغنيات ، ثم (جريدة الصباح) اليومية كذلك ، وبانتهائها يحين موعد خروجي من البيت ، لالتحق بدائرة عملي ، فانا اذن عبد من عبيد الزمن ، شئت ام ابيت .

الساعة تدق .. والقطة تموء ، وثمة ثرثرة داخلية صاخبة .

لمى لا شك انها ستضجر من طباعي ، وعصبيتي ، وكثرة سأمي من اكثر الامور ، وتشاؤمي .

لمى عادية نوعا ما .. لا تستطيع ان تفهم كيف اني لن اقتني لها ساعة جدارية ، ولن اهديها كذلك ساعة يد ، ولن اسمح لها بأي حال من الاحوال ان تجعل حيوانا يتجول في منزلنا ويموء ليل نهار . لماذا تموء القطة ؟؟ من الناس من هم خرس ، لا يتكلمون ، أفلا يوجد اذن قطة خرساء ، لا تموء .؟ الا يوجد كذلك ساعة لا تدق ؟؟

نظرت الى الساعة الجدارية ، احببتها هذه اللحظة ، فهي تشير الى الخامسة الا الربع ، ولمى في البيت والهاتف الصامت رابض بانتظاري ، يتجمع على نفسه كالمذنب ، ويقبع بزاوية البيت مغرورقا باسوداده .

ان الهاتف يعطي ويأخذ ، انه يجلب الشقاء او المسرات ، انه كالانسان . لكن رنينه مزعج نوعا ، اذا لم يطل من ضمن السماعة المحمولة في اليد صوت لمى الحبيبة ، لماذا اكره كل شيء ، واحب لمى فقط ؟.

ادرت قرص الهاتف الذي يشبه جرس الباب عندما يقرع ، الارقام هي بالتتالي : ٢٠٢٠٤٠٧٠٩ — سمعت نداءه لها في بيتها ، ولم يطل النداء كثيرا حتى ابشرني صوتها الممتلىء بالود والعطف :

— أيوه .

— لمى ؟.

— اجل . من ؟ اصابني وهم فجائي ، كسيل ربيعي .

— من ؟ اتنسين صوتي يا لمى ؟.

— كلا ما نسيته يا ولم انسه . يا نبيل .

— افلا تسلمين ، وتفرحين ؟.

— الحقيقة اني كنت بانتظار حديثك الهاتفي كثيرا ..

انذرني قلبي سوءا وسألت بخوف :

— لمى .. أرجوك كوني لطيفة .

— انت لطيف معي .. وانا . اني احبك .. لكن .. لكن .

— لكن ماذا ؟ اذا ابتدات بالقسوة ، فانتهي منها بسرعة . حزم الامور افضل بكثير من التردد فيها .

— لا يمكن الا اتردد ، فانا احبك ويعز علي فراقك ، ومع هذا من المستحيل ان اختارك شريكا لحياتي .

— لا تكملي . لا تكملي يا لمى ، اني لم افاجأ .. فانا أتنبأ ببصيرتي التي تتنبىء بالسوء كل شيء ...

— هذا هو السبب المفرق بيننا ، اوهامك الغريبة التي لا يوقفها اي شيء ، سوء نواياك ، شكك القاتل .

— تمهلي من فضلك ، انا ايضا من كثرة حبي لك ، وكثرة ظنوني

لبنان

لبنان تيمني هواك فمتى أراك ، متى أراك
ومتى أقبل حانيا يا أجمل الاحباب فاك
ومتى أكحل ناظري بالزهر يبسم في رباك
ومتى أروي الروح من عبق تنفس في ذراك
ومتى تحلق مهجتي يا أنس روحي في سماك
ما روع القلب المشوق وهده الا نواك

أرأيت قلبي ناسكا عد الطبيعة في قراك
جاب الحقول مرنحا بالمسك يعبق في الاراك
ومشى باودية الجلا ل كأنه فوق السماك
يمشي ويستجدي المفا تن وهي ما ضمت يداك
ويكاد يحتضن النسيم اذا تراقص في سناك
حسد الصخور لانها تحيا وتفنى في ثراك

لبنان تيمني هواك فمتى أراك ، متى أراك

بغداد حارث طه الراوي

وخوفي من تركك لي ، تعقدت ولكني سوف اكون قويا ، ولن اظلمك فأتزوجك ، ليس كرها يا لمى ، بل والله حبا بك .

ـ اخترت حبك مدة طويلة ، وحاولت جهدي ان انتزع بذور الشك من نفسك ، حاولت قتل الوهم ، حاولت دراسة تفكيرك دراسة ، لكنني فشلت ، كنت اتجاهل مفاجآتك لي في اوقات لم نكن فيها على موعد ، وكنت استغرب اسئلتك المحيرة ، وغيرتك المجنونة ، وخوفك علي حتى من اخي وابي ، وفرضك علي الملابس ، طلبك مني ان اترك الدراسة والوظيفة ، كل هذا سيعيقني ، وسيحطم رغباتي ومستقبلي ، وسأجدني في يوم من الايام اكرهك ، واعتبر غيرتك علي سجنا رهيبا ، وحبك لي كرها اكيدا ، وانا لا اريد ان يأتي ذاك اليوم يا نبيل .

ـ يكفي من فضلك ، اعرف كل شيء ، واحسب حسابا لكل شيء، لكني عاجز عن تغيير نفسي .

اعدت السماعة لمكانها ، دون كلمات ، بعد ان سمعت تأوهاتها التي تدل على البكاء ، اكره البكاء ومن تبكي ، انها تهجرني ثم تبكي على فقداني ، ؟ انا اعرف ان المرأة شيء غريب ، هكذا يقال ، وهكذا اقول انا ايضا .

لكن حزنا قاتما ، تسرب لنفسي من فراق لمى ، أصحيح اني لن اراها ؟ ولن اسمع صوتها ؟ ولن المس شفتيها ،؟ اصحيح اننا لن نلتقي ثانية .؟

أكان حبنا خرافة .. أم ان فراقنا هو الخرافة ؟؟. كم تختلط الامور ؟ وكم اضطرب معها .؟

لا داعي لليأس .. سأنتظر الظروف عساها لا تتمكن من البعد عني فتتصل بي من جديد ، سأبقى هنا .. انتظر ندمها وتأنيب ضميرها ، عقلي لا يحتمل الفراق ، ولا يصدقه .

سأبقى هنا ، اقبع قرب الهاتف الصامت الذي يجلب الشقاء والمسرات ، كان الهاتف رابضا بانتظاري واصبحت انا رابضا بانتظاره ، انه يتجمع على نفسه كالمذنب ، ويقبع في زاوية البيت ، مغرورقا باسوداده .

اسندت راسي المحشو بأفكاري الباكية على ركبتي .

تقوقعت على نفسي قرب الهاتف الاخرس ، انتظر منه نداء .

وكانت ...

القطة تموء .. والساعة تدق .. وثمة صخب داخلي .

من خلال صخبي ، استخلصت قراري ..

اذا لم تكلمني لمى .. سأنزع راس القطة ، واحطم الساعة ، واتحرر .

حلب ضياء قصبجي

السويد ارض الشعر

الشاعران الكبيران الصديقان
Par Lagerkvist, Artur Lundkvist

بقلم الدكتور زكي المحاسني

* * *

يقول العرب : عود على بدء « وما وجدت في واصل ما فات من مقالي الاول (١) عن الشعراء المعاصرين في السويد ابلغ من ذلك القول وقد ذكرت منهم شيخهم الاجل اندرز اوسترلينج ونابغيهم كارل ريار جيوروف وهاري مارتنسون » .

واليوم اتابع القول في هذا الشأن وفي النفس ما فيها من عجب وتطريب .

للشاعر « لاغيركفيست » « مؤلفات شعرية منها « غصة وخواء » اخرجه سنة ١٩١٦ . وله كتاب « كاوس » سنة ١٩١٩ قام بترجمته « جان كلارانس لامبير » وساعده في الترجمة بيير هالو طبعة باريس سنة ١٩٥٢ ويحتوي الكتاب المسمى « غصة » على ست قطع شعرية وخمس نثرية وكتاب « كاوس » يتضمن قطعتين من الشعر . وقد صنع تحفة كتبه كتابا سماه « براباس » سنة ١٩٥٠ كتب مقدمته لوسيان موري كما وضع رسالة لاندريه جيد ترجمت الى اللغة السويدية بلباقة الاديبة مرغريت غيه سنة ١٩٥٠ وطبعت في باريس . وله كتاب سماه « الجلاد » طبع سنة ١٩٣٣ اتبعه « بقصص فاجعة » سنة ١٩٢٤ . وكتابه الذي سماه « ابتسامة أبدية » سنة ١٩٢٠ كتب مقدمته ايضا لوسيان موري وترجمته كذلك مرغريت غيه وكتابه الذي سماه « القزم » سنة ١٩٤٠ قصة نقلتها من السويدية كذلك مرغريت غيه في ٢١٧ صفحة طبع باريس ١٩٤٦ وكتابه « العرافة » رواية طويلة نقلتها من اللغة السويدية الكاتبة مرغريت غيه في ٢٢٤ صفحة طبع باريس ١٩٣٧ ...

وقد كان من حقي في تأليف هذا المقال ان اجعل الكلام على هذه الكتب مؤخرا بعد كلامي على شعر الشاعر بار لاغيركفيست ، وكانني احسست بالتهيب ان اهجم هجوما مباشرا على شعره بكلامي ، اذ انني اجد للشعر العالي حرمة يجب ان يمس فيها بقفاز من حرير . وكم كنت اعجب واسخر من كتاب ونقدة يهجمون على الآثار هجوم الفاتكين غير عابئين بحرمتها ، وكنت اشبههم آنذاك بأطفال في ايديها عصي صغيرة من حديد راحت تعيث فسادا بغوال وتحف من آنية الزجاج النفيس والصيني الثمين .

ان هذا الشاعر العظيم الذي نال جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٥١ عن مجموع آثاره الخالدة يعد في بلاده وفي اوروبا وبخاصة في اسكندنافيا اميرا للشعر الحديث في تلك البقاع الاوروبية .

والآن بعد هذه التوطئة لا اجد حرجا ولا احس ضيرا في ان اتناول الكلام على شعره .

يقول الناقد والمؤلف فريدريك دوران في كتابه « السويد المعاصرة في شعرها وآدابها » ان قصيدة « غصة » يمكن ان تتخذ شكلا عاطفيا يستولي على المرء ، لان الشاعر لاغيركفيست يمتاح معانيه من ينبوع صاف نضاح بالالهام الشعري ، ولكلماته طنين ثاقب يبعث على الهوى والامل ، لا يستطيع المرء الا ان يحس به في اعماق نفسه مزدانا بالشعر والشباب .

اقول فلنستمع الى قصيدته التي سماها « صراخ قلبي » :

« ايتها الغصة يا غصة يا ميراثي في الحياة ، يا جرح حلقي ، يا صرخة قلبي في الدنيا ، ها هي امواج اغواري في يد الليل القاسي ، وها هي ذي الغابات والآفاق الصاقعة التي تتجه مسكينة نحو السماء لكأن كل ما حولي جلد قاس مجلل بالسواد الصامت .

انني لاخطو في هذا الفضاء المظلم واحس صدمة الصخور الحادة تحت قدمي . وامد يدي نحو السماء واحسها تمج دما تجاه الغيوم المثلجة .

آه ، اني لاقتلع اظافري من اصابعي واجرح يدي وانا اتسلق الجبل وامضي في الغاب الملتف تحتي ، فيا لمعدن السماء الاسود ويا للارض الباردة .

الغصة ، الغصة حصتي من الميراث .

يا جرح حنجرتي ، يا صرخة روحي وصوت قلبي في الدنيا ... »

واما قصيدته التي سماها « ليس في الحب شيء » فيقول فيها :

« ليس في الحب شيء الا المرارة الدائمة ، المرارة التي تمتزج بالحياة .

وهي تجعل حياتي قاحلة وباردة .

ولست ارغب في ان ابحث عن الشمس . لا تدع الشمس تقتحم خدي . انني ارغب بالموت باردا ، وارغب ان اموت جائعا . الفرح ، الفرح ليس شيئا . لمن لم يذق ملح الاحزان .. »

ولقد عرف قرائي في مجلة « الاديب » التي اكتب فيها منذ ثلاثين عاما في دأب مستمر ان قلمي لا يؤذي احدا ، وانني بنيت ادبي بلبنات من المودة والحب ، وكانت غيرتي على لغة العرب وشعرها القويم معروفة في العالم العربي والاستشراقي ، ودرجت في كلامي على الشعر الغربي ان اوثر ترجمته منظوما مقفى ، وموزونا ،

١ – يرى (الاديب) الاغر لشهر يوليو ١٩٧١ ص ١٠

لا تردي فيه . وكم نفرت من ان اصوغ الشعر الا بلغة الشعر وها انـا ذا أترجم للصديق الشاعر العظيم السويدي « بار لاغيركفيست » قطعة سماها « البرهة الاخيرة » :

الا أيها النجم الذي سكن القدر   نمد اليك الكف نلتمس العبر
أيا شاعري لا تأو سرعان للحفر   فان بجوف الارض يندفن الثمر

أتخمد نيران باقدار عيشنا   ويبقى شعاع ينبري نحو عمرنا
له رجعة عبر الفضاء تشوقنا   خلال مغان في دجاهن قبرنا

لقد صفت الاحداث تصفيف لعبة   من القدر المحتوم فيها نهايتي
مزيجة ليل في ظلام وحلكة   فويلك يا انسان ، يا بؤس غايتي

ارى الانجم الزهر التي قد علت رأسي   لها نفس يمضي مع الحس والحدس

. . . .

وبحسبي هذا المقدار من نقل هذا الشعر السويدي الرفيع الى لغة العرب المبينة ، لامزج بين حلاوة المعاني وجمال المباني ، في طاقة من الزهر ، عبقة بالشعر اهديها من ضفاف (بردى) الى الصديق الشاعر الذي لا يفنى شعره « بار لاغيركفيست » .

واما الصديق الشاعر آرتور لوندكفيست فمن الطبقة التي تعد استاذة النشء الحديث . ومن جميل ما نجد في ادب السويد ، اعتراف الصغار للكبار والبعد عن التمرد عليهم .

وها هنا اذكر ما يقع لي النظر فيه من أدب الناشئة والمراهقين من قومنا الذين تنكروا لاساتذتهم فحسدوهم حينا ونقدوهم احيانا وادعوا الاستغناء عنهم تارة ، حتى راح نفر منهم يقولون :

ـ وماذا بقي من طه حسين ، لقد افرغ ما عنده ، ولم يبق لديه شيء جديد .

ومن قائلين في العقاد :

ـ لقد اصغى هذا الكاتب اصغاء شديدا ، فهو يجتر أدبه اجترارا .

وكان من دأب هؤلاء المراهقين المسيئين لعبقرية أمتنا في الادب والفكر ، ان يتمادى منهم فريق على التراث المقدس في اللغة والفكر والادب العربي والاسلامي ، ويزعم انه ليس بشيء امام الادب العالمي . ومن قائلة ـ وهي لا تخشى الله ـ اذ كانت تتبع زوجها في الانكار والتحدي وفي اشاعة العامية والتسفيه لكبار الشعراء كالمتنبي ، اذ راحت تزعم انه كان شاعرا مستجديا : كل هذا يردني الى تعظيم الشعراء والادباء السويديين والناشئين فيهم من الشبان الذين لم يدركوا بعد الكهولة ، كيف انهم يتقبلون ادب كبارهم ويعدونهم معدن القدسية والنبع الشافي للادب الحديث .

ولذلك اعد الصديق آرتور لوندكفيست ، الشاعر الكبير اماما بأدبه وشعره للطائفة التي جاءت من بعده .

ان له ديوان شعر سماه « نار على نار » قام بعرضه وترجمته الاديب الفرنسي جان كلارانس لامبير طبعة باريس دار نشر فاليس ١٩٥٨ .

وان له قصيدة بل مجموع قصائد تحمل انعكاسات الوجود واصداء الشعور واللاشعور ان كان له صدى ، من صميم اشعاره الى ارواح الانسانية العميقة التي يحياها بنو البشر وكأنهم نيام يساقون سوقا الى حياة ملأى بالاسرار ، يأتون الى الدنيا ويتقلبون فيها على الهم والشقاء والفرحة والصفاء ، يعجنهم الحب عجنا وتخبزهم الاحزان خبزا ، ويعيشون حينا من الدهر ثم يغادرون هذا العالم وكأنهم لم يأتوا اليه . وكم اجد في اصداء المعاني التي جاء بها الشاعر آرتور مماثلات لها عند شيخ شعرائنا الاعظم ابي العلاء المعري . فان الروح الفكرية اجدها نفسها عند الشاعرين على بعد ما بينهما في البيئة والدم والعصور . ففي قصيدته « اصوات النهار » يقول :

اسمع غمغمة محزونة كانها هزيم الريح في الاشجار المثقلة بالمطر

انني لاصبو الى ان امرغ يدي على الارض .
وكأني احبها كغانية تشع الضياء .

وكم اتمنى ان امجد بشعري الايام التي ترضع أواتيها من ثديها الفياض بالغد .

واما قصيدته التي سماها « نافورة متدفقة في ماء لماع » فهي وصف دافق يشبه اندفاع الروح الانسانية بطفرتها نحو الغيوب وعودتها خاسرة صفر اليدين بغير شيء . وفلسفة النافورة والمطفرة جلست اناغيها بجنيف سنة ١٩٦٠ ، تلك انطلاقة ماء نحو العلاء تعلو أكثر من مئتي متر وهي مهما تعل تعد ادراجها متخاذلة متناوحة فتشبه النفس الانسانية التي تتحفز ثم تكبر . يقول شاعرنا آرتور في قفزة المطفرة العالية :

في قفزة المطفرة العالية   يعود صوت الماء مثل البكاء
كانما الماء قضى نحبه   وادرك الدنيا وسر الفناء
تحية للريح في زعزع   يهز دوح الروض ملء الفضاء
وكم نرى للريح من خصلة   جميلة مثل جمال الشقاء
تمر بالغابات نواحة   فتبعث السعد كنعمى اللقاء
اين السعادات التي تختفي   كما اختفى عشب بدوس الهواء
لولا امانينا وطيب اللقا   لم ندرك السلوى بوهج العناء

تلك هديتي في الشعر والفكر في طاقة من ازاهير السويد قطفتها على بعد الديار وشط المزار لتكون لبني قومي العرب نفحة روح وريحان من شعر محزون وولهان راح شعراء السويد يصوغونه من فلذات اكبادهم وخلجات قلوبهم وطيات ادمغتهم التي تفوح بافكارهم . وهي اول مرة في تاريخ الادب المعاصر والقديم تقدم فيها هذه الزنابق السويدية البيض الثلجية لينشقها العرب وبخاصة قرائي الاعزة في مجلة صديق العمر اخي الاستاذ العظيم البير أديب .

دمشق   **زكي المحاسني**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عامر محمد بحيري

حصـاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

اليخت الذهبي

في صباح يوم السبت الحادي عشر من يناير عام ١٩٣٦ ، توجهت الى كلية الآداب ، فاستقبلني على درجها الخارجي ، زميل من الطلاب ، هو الصديق سليم تاوضروس الاسيوطي ، واعطاني نسخة من عدد صحيفة « البلاغ » اليومية ، بتاريخ يوم الجمعة السابق ١٠ يناير ، قائلا لي : هذا العدد هدية لك من الاستاذ الدكتور زكي مبارك ، وقد كتب فيه مقالا عن ديوانك الجديد — او الاول — « اليخت الذهبي » !

لم يكن قد مضى على صدور الديوان اكثر من عشرة ايام .. ولم اكن اتوقع ان يكتب عنه احد من النقاد ، او المحررين في الابواب الادبية بالصحف بهذه السرعة على الاقل .. وكنت حتى عندما اعددته للنشر قد احجمت عن عرضه على احد من كبار الاساتذة ، ليحلي صدره بمقدمة ، كما يفعل الكثيرون .. حتى قلت في المقدمة التي كتبتها له بنفسي ، مشيرا الى ذلك ما يلي :

« كان صاحب الديوان يؤثر ان يقدمه لجمهرة القارئين احد زعماء النهضة الادبية الحديثة ، وكثير من حضراتهم قد شهد بالتفوق لمقطوعات من هذا الشعر قرأها او سمعها .. وكان في هذا شرف عظيم لصاحب الديوان لو وقع .. الا انه رأى ان يظل عمله الى النهاية خالصا لوجه الادب ، فتحاشى حتى هذا الشرف العظيم — وهو بذلك يغبن نفسه اشد الغبن — خشية ان يقول القارىء الحر او الناقد النزيه : اخذ علينا سبيل الحكومة ، وجاءنا بالقضية من عقبها .!! »

ولكن الاستاذ النبيل ، الدكتور زكي مبارك ، رحمه الله ، وطيب ثراه ، وعطر ذكراه .. ابى الا ان يسارع الى انصاف واحد من الشباب ، لم يسع اليه بنفسه ، ولم يلحق في طلبه ، ولم يسلك سبيلا يسلكها غيره ، ليحصل على مآربه .. فانصف الاستاذ بذلك نفسه ، كما انصف الاديب الناشىء ، والادب جميعا ..

والحق ان هذا المقال القصير البليغ الذي كتبه الدكتور زكي مبارك عن ديوان « اليخت الذهبي » في العاشر من يناير عام ١٩٣٦ ، لا يعد فقط تقديرا للديوان وصاحبه ، ولكنه يمكن ان يعد ايضا تاريخا للنهضة الشعرية الجديدة في تلك الفترة ، وتوضيحا لاحد معالمها البارزة ، وهو التأثر بالادب الغربي ، في محاولة ارساء القواعد الثابتة لتلك النهضة المرجوة ..

قال الدكتور زكي مبارك :

« اليخت الذهبي هو اسم لمجموعة شعرية طريفة ، اصدرها الاديب عامر محمد بحيري الطالب بكلية الآداب بالجامعة المصرية . وهذا الاديب ليس الا واحدا من جماعة تحوم حول حياض الشعر في كلية الآداب . ويمكن ان نسمي هؤلاء بالشعراء المخضرمين .. لانهم جمعوا بين الثقافة العربية والثقافة الاوربية . ولانهم يلتقون في اليوم الواحد باساتذة يختلفون في الاوطان والنزعات والالسنة والاذواق بحيث لا تعرف بالضبط الى اي وجهة ادبية تتجه هؤلاء الشبان .. وهذه البلبلة في النقل ستكون سببا في ثورات فكرية وعقلية وذوقية وروحية لا يعلم مصيرها غير علام الغيوب .. »

ولا بد ان نذكر في هذا المقام ، ان النصف الاخير من عام ١٩٣٥ والنصف الاول من عام ١٩٣٦ ، كانا مجالا لثورة وطنية كبيرة ، حمل عذابها الشباب يومئذ .. وسقط من بينهم الشهداء من طلبة الجامعة وغيرهم .. ولم يفت الدكتور زكي مبارك ان يلاحظ ان ديوان «اليخت الذهبي » قد صدر في هذه الفترة ، وان صاحبه كان واحدا من هؤلاء الشباب الذين حملوا مسؤولية تلك الايام .. فراح يذكر — تواضعا منه — ان هذا الموقف من الشبان سيعجز النقاد عن التعرض لشعرهم !

يقول الدكتور زكي مبارك في ذلك :

« وجملة القول ان الجامعة المصرية تغلي غليانا شديدا . وقد استطاع طلابها ان يجعلوا ساحتها ميدانا للوطنية المتوثبة .. وفرضوا على الوفود والزعماء ان يتذكروا في جميع المناسبات ان في ميدان الجامعة لوحة تحفظ ذكريات الشهداء ..

وهذه الوثبة الوطنية ستعجز النقاد عن التعرض لاشعار هؤلاء الشبان ، لان اعمالهم الوطنية هي في ذاتها اشعار مكتملة الفصاحة والبيان .. وليس من القليل ان

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

يظل ميزان الحق في ايدي هؤلاء الشبان شهرا او شهرين، وان تكون صيحتهم هي الفيصل في قضية الدستور والاستقلال ... »

ثم يتدارك بعد ذلك فيقول متفضلا :

« وما اريد بهذا الكلام ان احكم بأن اشعار عامر بحيري تستحق الترفق والاغضاء .. كلا ، فان عامر بحيري شخصية رزينة تعد بالخير الجزيل ، وقد حضر هذا الشاب دروسي سنة كاملة في كلية الآداب ، وترك في نفسي اثرا طيبا ، وان صحت فراستي فسيكون هذا الفتى من اعلام البيان ... »

ويستشهد بعد ذلك بشاهدين من شعر الديوان .. يذكر في الاول خمسة عشر بيتا من قصيدة « عند النصب التذكاري » .. وهي أول قصيدة في شهداء الجامعة ، اضيفت الى الديوان حال طبعه .. كما يذكر الشاهد الثاني وهو مقطوعة عاطفية في اربعة ابيات بعنوان « حيرة شاعر » .. وهي

قالت ارى شاعري حيران، قلتلها : في ان افض من الكون المغاليقا
ما بين حسنك والدنيا وخاتمتي لظى من الوجد رد الروح محروقا
وما الذي ضر لو رويت من ظمئي الم أكن مثل كل الخلق مخلوقا
لم الق عينا على الدنيا وما وسعت الا ارى عاشقا فيها ومعشوقا

ويختم الدكتور زكي مبارك كلمته فيقول :

« وهذان الشاهدان من شعر عامر بحيري يدلان اصدق الدلالة على ما فيه من قوة الطبع ، وصفاء الروح، وانا لنرجو ان تكون هذه المجموعة اول الغيث ، ونسأل الله ان يجعله من دعائم الشعر الحديث ... »

وقبل ان انتقل للحديث عن حقيقة قصائد الديوان، وما حوته من تجديد .. اشير الى كلمة اخرى كريمة ، تفضل بها اديب كبير آخر .. ولم تصدر هذه الكلمة في القاهرة ، ولكنها صدرت في الخرطوم .. وكان كاتبها هو الاديب الكبير السيد احمد عثمان القاضي رحمه الله ، الذي كان صديقا لوالدي في السودان ، وحضرت عليه بعض الدروس في المدرسة الابتدائية .. فقد كتب في جريدة « حضارة السودان » يومئذ .. فقال :

« اليخت الذهبي : هذا اسم اطلق على مجموعة شعرية عذبة ، او بعبارة اخرى هي باكورة ذهن في مفتتح الحياة ، وذلك الذهن الخصيب هو ذهن الشاب الاديب عامر محمد بحيري الطالب بكلية الآداب بالجامعة المصرية. وهو نجل صديقنا الاستاذ العظيم محمد عامر بحيري .. الذي كان مدرسا بأم درمان ، وكان شاعرا بالسليقة وزجالا كثيرا ما رايناه اتى بالحكمة وفصل الخطاب في طي بيت من الزجل له ديباجة هازلة ، وطرافة فكاهية ، يرسل الى النفوس شعاعا تفيض به بهجة وسرورا ..

أجل ، ان هذا الشاب الصغير الذي عرفته ، وعرفه غيري من اساتذة مدرسة ام درمان الاميرية ، قد اودع الله ذهنه شاعرية ناضجة ، هي الى الكهولة اقرب منها الى الفتوة .. فهي قوية مؤمنة سليمة من العبث .. وهي وطنية متقدة تتكشف عن اضطلاع بقسط من المسؤولية .. ثم هي بعد ذلك حفيظة امينة ترعى الود وتحفظ العهد .. لذلك لم تخل المجموعة من اشارة الى هذه البلاد ، وسني حداثة الشاعر بها ، ووصف بعض ظواهرها .. ثم هي بعد ذلك مجموعة من حيث حجمها وشكلها خفيفة الروح ، انيقة الشكل ، صغيرة المبنى على كبر معناها ... »

ما هي حقيقة التجديد الذي اشتمل عليه ديوان « اليخت الذهبي » .. والتي اشار اليها الدكتور زكي مبارك بانها حصيلة لقاءات يومية بالاساتذة الاجانب من كل لون ، وامتزاج دائب بين الثقافات ، وبلبلة ستكون سببا في ثورات فكرية وعقلية وذوقية وروحية ... وان اصحابها يمكن ان يسموا على ذلك بالمخضرمين ؟

وما هي حقيقة القوة ، والايمان ، والسلامة من العبث ، والوطنية المتقدة ، والاضطلاع بقسط من المسؤولية ؟ وما هذا النضوج ، والشاعرية التي هي اقرب الى الكهولة منها الى الفتوة .. في ديوان نظم صاحبه اكثر قصائده بين العشرين والثانية والعشرين من عمره !

اولا .. هل يقبل العرف ان يقوم صاحب الديوان نفسه بالحديث عن ديوانه ؟

وبعبارة اقرب .. هل يستطيع الاديب ان يتحدث عن نفسه ؟

ان المبدأ في حد ذاته معترف به .. فاذا تجرد الاديب عن شخصيته قدر المستطاع .. استطاع ان يكون ناقدا لادبه اصدق ما يطلب من الناقد ، لانه حينئذ يكون اعرف باسباب ما كتب ، وبتاريخ ما كتب ، وبطريقة ما كتب .. ولعلنا نلاحظ هنا صادقين ان الناقد نفسه ـ المتجرد للنقد الادبي ـ لا يكون متجردا من شخصيته تماما ، ولا يكون في النهاية الا انسانا ، يميل الى هذا الجانب او ذاك ، حسبما يرى ويشعر ، لا يميزه الا هذه الاداة التي يحملها من دراسات لاصول النقد ، وممارسة دائبة لفن النقد ، وتفرغ كامل لعلم النقد منهجا وتطبيقا.

ولم اكتب « حصاد السنين » ، الا لانني اصبحت في سن تسمح لي بذلك ، بعد عزوف كامل عن المرغبات في عهد الشباب من ميل الى الظهور ، او الشهرة ، او المزاحمة بالمناكب ، التي لم اكن احسنها ، حتى في ذلك الوقت المبكر ..

ولم اكتب « حصاد السنين » ، الا لانني احسست بعد مضي كل هذه الحقبة من العمر ، ان الشعر رسالة واجبة الاداء كغيرها من الرسالات ، وان الحصاد المجتمع عندي كثير .. وان الفرصة التي اتيحت لظهور بعضه ، على شكل دواوين ، في فترات متباعدة ، لم تكن كافية في اداء الرسالة ذاتها على حقيقتها ..

على انني لن اشرح في عرض ديوان « اليخت الذهبي » الا من خلال ما كتبه ناقدان كبيران ، عند ظهوره ، هما الدكتور زكي مبارك ، والسيد احمد عثمان القاضي .. عليهما رحمة الله ..

لقد اشار الدكتور زكي مبارك الى « امتزاج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثقافات » .. وهذا موضوع كبير يظهر في « اليخت الذهبي » في الآفاق الشعرية الجديدة التي ارتادها الشعر للمرة الاولى .. كرحلة الشاعر الى القمر مثلا – قبل رحلة الانسان الاخيرة اليه باكثر من ربع قرن – في قصيدة « اشعة من الباب الفضي » .. ثم قصيدة « شاطىء القمر » التي نظمت بعد صدور الديوان ، معالجة لذات الفكرة ..

وفي الديوان قصيدة عنوانها « الوجود العكسي » .. وهي تشتمل على فكرة فلسفية ليس هناك مجال عرضها، لانها امتدت بعد صدور الديوان ، حتى شملت اربع قصائد .. ولا بد ان تعالج هذه الفكرة الفلسفية في مقال يتسع لعرض جوانبها الطريفة ..

وفي الديوان – وهو ما اشار اليه السيد احمد عثمان القاضي بالنفس القوية المؤمنة السالمة من العبث – قصيدتان باكرتان .. احداهما بعنوان « محمد » .. والاخرى بعنوان « اورشليم الجديدة » ... ومن عجب ان كليهما تدعو الى الاخاء الانساني في اسمى مراقيه .. وتجمع اصحاب الاديان السماوية على نهج واحد من الحق .. ففي قصيدة « محمد » :

يا صنو عيسى .. وصديقا له   وخاتما للعلية المرسلين
بشر عيسى بك اتباعه   حديث عيسى صادق لا يمين

وقصيدة « اورشليم الجديدة » .. نظمت « بمناسبة انعقاد مؤتمر تاريخ الاديان ببروكسل ، تأييدا لفكرة التسامح ، ونبذ الحرب ، والدعوة الى الحب الانساني » .. ومنها :

الارض للناس من حب ومن قبل   والدين لله .. في اعلى السموات
واورشليم تلاقى الانبياء بها   فجددوها بأيام الديانات
رسالة الشعر تدعوكم الى شجر   في غابة الحب ، سحري الخميلات

وثمة في الديوان قصائد اخرى ، تستخرج منها موضوعات ، وتدور حولها دراسات .. من ابرزها القصائد الوطنية ، والمترجمات التي اشرت الى بعضها من قبل .

ولكن ... ما هي حقيقة تسمية الديوان بهذا الاسم ؟!

« اليخت الذهبي » .. عنوان لقصيدة تقع في مفتتح الباب الثاني وعنوانه « الخيال الرمزي » . وكان من الواجب ان يكون هذا الباب هو اول ابواب الديوان ، والقصيدة اول قصائده ، لولا انني قدمت على ذلك بابا اسميته « الجامعيات » .. كان يمكن ان يتأخر ..

والقصيدة تقع في واحد وثلاثين بيتا .. وموضوعها سيريحنا ، ويبسط لنا هذا الجهد الذي نحاوله .. لانه سيشرح لنا في الواقع فكرة الديوان كله ، والظروف التي أحاطت بظهوره ..

القصيدة تتحدث عن الشباب يجددون العصر كله بعامة .. هذا في الناحية الوطنية .. ومنهم فريق يجددون الشعر في نفس الوقت بخاصة .. فلنستمع الى ابيات من مطلع القصيدة :

وثب الشباب يجدد العصرا   وجماعة قد جددوا الشعرا
يبنون دنيا غير خاملة   لا تخفض الدنيا لها ذكرا
نسجوا القطيفة من خمائلها   حللا ، وصاغوا نيلها تبرا
ركبوا جواد الشمس.. فاستبقوا   في النور .. وارتقبوا به نصرا
وطفت بحار الليل تملؤهم   رعبا ، وتدفع جمعهم قسرا
فأتوا ((بيخت)).. صيغ من ذهب   سرعان ما صعدوا به البدرا
قبل الهزيع رسوا بشاطئه   ورأوا مدينة عاجه الكبرى

ها هي فكرة البدر ، والصعود اليه ، تطل من ثنايا الابيات .. وحين نعالج هذه الفكرة في مقال منفرد ، سنجد انها شاعت في اكثر من موضع ، وملكت من الخيال اكثر من مراد ..

ماذا فعل « اليخت » بعد ان استقله الشباب .. نحو اهدافهم البعيدة ؟

هذا هو اليخت الذي ركبوا   عبر الشواطىء واعتلى النهرا
ينساب في الامواج ملتمعا   يحيى الخيال ويبهج الفكرا
يجري الى بلد مجددة   ويغير الايام ، والدهرا

ويصل الامر بعد ذلك الى ذروته .. فما هي الغاية من هذه الرحلة ؟ وما هي الاسباب الحقيقية التي دفعت بالشباب للقيام بمغامرتهم ، لاكتشاف الآفاق المجهولة ، والنزول بالشطآن البعيدة غير المأهولة ؟ ما هي الحوافز التي حفزتهم ، وما هو السلاح القوي من الايمان ، والاخلاص ، والمثل العليا .. الذي تسلموا به ، ليصلوا الى غايتهم ؟

تمضي القصيدة في ذلك فتقول :

لا بد للانسان من مثل   **متطلع ، يعلو به قدرا**
والمرء لا يحيا بلا أمل   **حتى يجدد رايه الحرا**
والمرء ينكر نفسه علنا   **ان انكر التجديد والعصرا**
أيعيش في ((يخت)) يميل به   **وحنينه للوحش والصحرا**
أين القصور تضمه غرف   **منها ، وتسبل دونه السترا**
أين الازاهر في الدجى حلمت   **فتحولت احلامها عطرا**
أين الحياة بكل مخترع   ملأ الفضا والارض والبحرا
أين العلوم وما تحققه   حتى تزيل الجهل والسحرا
أين المظاهر والفنون وما   يوحي الهوى والحسن والشعرا

هي احلام الشباب اذا .. وآماله العريضة في حياة جديدة خفاقة .. لا تعوقها عوائق القديم عن ان ترتاد كل أفق جديدة .. وهي آراؤه الحرة التي يريد ان تنطلق من القيود والاصفاد ، لتحقق مزيدا من السعادة ، ولكن على أساس من العلم والفن ، دون الجهل والسحر والشعوذة.

وبعد أبيات تتحدث عن الجمال ، وانه من روح الله .. وعن الجمود وانه سر ما تمنى به نهضة عصرية .. وعن الدعوة للسير قدما الى الامام ، دون النكوص والرجعة الى الوراء .. تختم القصيدة بهذه الوثبة الغامرة ، في فرحة ضاحكة مستبشرة ..

اني صنعت « اليخت » من ذهب   وله خلقت المد ، والجزرا
هو خاطر متجدد غرد   بسط المحيط ، وانشا الجزرا
مالي بما خفيت معالمه ؟   ذهب الدجى ، فلنشهد الفجرا

هو اذا فجر البعث ، وفجر نهضة الشباب .. فلنترك الدجى يذهب في ظلام الماضي .. ولنرقب في امل واشراق طلعة الفجر الجديد !

مصر الجديدة   عامر محمد بحيري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بولس سلامة

«مذكرات جريح» لبولس سلامة *

بقلم فوزي عطوي

* * *

ان يقدمك الى الناس مفكر شاعر ناثر من طراز بولس سلامة ، فطموح لا أراه ، اذا تحقق ، الا حاملا معنى التزكية الصادقة ، والشهادة الحية بمقامك الادبي المرموق .

وان تقدم الى الناس مفكرا شاعرا ناثرا من طراز بولس سلامة ، فشرف رفيع يسبغ على مرقمك هالة من البهاء والرواء ، ويشيع في النفوس اعتقادا بأنك قادر على تفهم ابعاد واعماق ادب بولس سلامة ، وعلى ارتياد مناهله العذبة ، واكتناز قلائد شعره ، وفرائد نثره !

واما ان يكون طالعك من الاشراق بحيث يكون لك الشرفان معا : تقديم بولس سلامة اياك ، وتقديمك اياه الى الناس ، فأمر هو الى اثارة الفخر اقرب منه الى استثارة خيلاء نفسك ، ولا سيما متى جاءت كتابته عنك، وكتابتك عنه ، مغمستين بلون من المحبة العاطرة ، والوفاء المقيم .

ولقد يسرت لي ظروفي ان اتعرف ببولس سلامة ، وانا طري العود بعد ، منذ ما يقارب الخمسة عشر عاما ، ومذاك لم ينقطع ما بيننا اتصال يومي ، ازوره واهاتفه ، ويهاتفني ثم يزورني بعد ان من الله عليه بالشفاء من بلوى انست الناس ، او كادت ان تنسيهم بلوى ايوب ، حتى ليصدق شاعرنا اذ يقول في قصيدته « ألم » مصورا حاله ، وهو طريح الفراش ، تحت رحمة الله ، ومباضع الجراحين :

أواه لو كان الرقاد يزورني ... لرضيت من دنياي بالاغفاء
لا يلتقي جفناي الا خلسة ... فكأن بينهما قديم عداء ..
أيوب ، من أيوب ؟ ماذا خطبه ؟ ... هو قطرة ، وانا خضم بلاء
فاذا مررت على الجريح تعوده ... فلقد أتيت مدافن الاحياء !

وكنت ، وما انثنيت ، اضيف الى اعجابي بشخصية بولس سلامة ، وبنتاج فكره ، يوما بعد يوم ، اعجابا جديدا :

هذا الانسان الفرد الذي غدت حياته ، وما اكتنفها من آلام وجراح ، اسطورة مشرقة الجوانب .

وهذا المتفائل العبقري الذي اشاع الفرح حتى في المشارط التي تناوشت جسده الجبار اربعا وعشرين مرة، في عمليات جراحية ، لواحقها اخطر من سوابقها ، فاذا فرحه بالالم لون من التعبير عن الايمان المطلق بالله ، والانسياق الرضي لمشيئته تعالى ، على عكس ذلك النمط من الساديين المتلذذين بآلام الآخرين ، او بآلامهم هم ، في غباء خلقي شاذ ، وفي اتحاد غريب باللذة المجرمة ، او الجريمة اللذيذة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا الشاعر الملهم الذي تحدى عذابه ، فعاش على هاجس المجد الفكري ، واعطى الادب العربي شعرا ملحميا رائعا ، لاول مرة ، مثبتا قدرة العقل العربي والوجدان العربي على معالجة الملاحم ، ومكذبا اراجيف اولئك المفترين القائلين بقصر النفس والارتجال في فكرنا العربي ، بشكل عام .

وهذا الكاتب الاصيل المجدد الذي اتخذ في الحياة فلسفة خاصة ، بعض قوامها النبل ، وبعض مظاهرها العطاء المطلق ، فاذا اسلوبه الفني جنائن وارفة الظلال ، مخضوضرة الافنان ، شذية الازهار ، واذا ابحاثه ، وان دار بعضها على شؤون وجدانية حميمة ، تشارف عالم الانسان ، في كل آن ومكان ، وتنم عن عمق ثقافة صاحبها ، وطول باعه ، ورسوخ قدمه في عالم الفكر الفسيح .

اقول : هذا الانسان الفرد ، والمتفائل العبقري ، والشاعر الملهم ، والكاتب الاصيل المجدد ـ ولا انساه قاضيا نزيها ، واستاذا مربيا ـ قد بلغ من الصفاء

* هذه مقدمة الطبعة الجديدة من « مذكرات جريح » لبولس سلامة التي تصدر قريبا عن « الشركة اللبنانية للكتاب » .

مـأتـم منـتزه

مهداة الى الاستاذ جعفر الخليلي

احمد الصافي النجفي



* * *

عشرون سنة متواصلة والشاعر احمد الصافي النجفي يرتاد متنزها بين بعض الشجيرات وفي جوار مقهى متواضع في ربوة دمشق ، يقصده في كل يوم من ايام الصيف فيفرش له القهواتي بين تلـك الشجيرات حصيرة ، ويهيء له وسادة ، ويصدع بأمره فيشتري له شيئا من الحبوب لكي ينثرها للطيور التي الفته وبدأت تلتقط الحب من يديه ، وقد اصبحت تلك الحصيرة بين تلك الشجيرات والى جانب ذلك القهواتي مفرش لذة الصافي ، ومبعث وحيه الشعري طوال هذه السنين العشرين ، ويجيء الصافي في هذه السنة فيجد المقهى الصغير مبعثرا والشجيرات مصوحة وليس هنالك غير تلك الطيور المحومة على تلك الصومعة، فلقد مات القهواتي وخلا المكان من ذلك الانس ، وقد بكى الصافي وتحولت دموعه الى قصيدة رثاء لذلك المأتم ، وقد قدمها هدية الى صديقه جعفر الخليلي الذي كثيرا ما نعم بمثل هذه الهدايا النفيسة الغالية من صديقه الصافي في كثير من المناسبات .

أنـا أرثي في الشام عندي مقاما ... كان خلـدا لدي ، عشرين عامـا

هو سهل في شاطىء النهر ، نضر ... لـي يهدي الابداع والالهاما

كان مأواي كـل يـوم هجير ... ومقيـلا ، ومنظـرا ، ومقامـا

عميت أكثـر النواظـر عنـه ... وسروري ان تعـم ، او تتعامى

تركتني في جنـة الخلـد وحدي ... لست أصغي اللغو ، يدعى كلامـا

يسمعون الضجيج من «راديات» ... ومـن الطير أسمـع الانغامـا

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

الروحي مبلغا حمل ادبه الى الذروة ، وجعل حياته سيرة تشابه ، الى حد كبير ، حياة المصلحين الصالحين !

* * *

وبعد ، فليس هـــذا الكتاب « مذكرات جريح » بجديد على قراء بولس سلامة ، فقـد سبق ان نشره في مطلع الخمسينات ، ونشر بعــده مؤلفات كثيرة تعتبر بمجموعها سجلا حافلا بمذكرات الرجـــل ، وآرائـه ، ونظراته في الفكر والمجتمع ، فضلا عن قصائده وملاحمه الشعرية العالية السبك ، الغنية المحتوى .

وميزة « مذكرات جريح » تكمن في كونه أولى حبات العقد ، وفي الشفافية الوجدانية المترائية مـــن خلاله ، بحيث يحجب شموله ما فيه مـن حديث حميم ، ممـا يسيغ لنا القول بأن ما صنفه بولس سلامة ، في هـــذا المجال ، يمكن ادراجه في عداد ادب المذكرات العالمية التي تطالعنا بين الفترة والفتـــرة ، اذ ليس في مقدورنـــا ان نعتقد بأن ادب المذكرات يجب ان يقتصر على السياسيين وحسب ، وانما ينبغي له ان يشمل سائر المجالات ، ففي المذكرات السياسية ، يختلط الحق بالباطل ، ويمتـزج النفاق السياسي بالحقائق التاريخية الاساسية . امـــا فيما عدا ذلك ، فنحسب ان المذكرات تغدو الى الصدق ادنى ، وبالتصديق اولى .

وما احسبني اسوق الى القاريء تواضعا مزيفا اذا صارحته بأن بولس سلامة الذي قدمني في اكثر من كتاب وديوان الى الناس ، يعجزني اليوم ، وانا اقدمه في كتاب له ، قديم جديد ، وحسب القاريء من هـــذا التقديم ان يعرف الطريق الى الروضة الفكرية الغناء التـــي تسمى « بولس سلامة » ، حتى اذا خطا نحوها ، بهره النور انى تلفت ، وسحره العطر من كل جانب !

فوزي عطوي

سامعا دونهم غناء السواقي وحفيف الاوراق ، والانساما
حيث وزات نهره الفتني تتوخى من كفي الاطعاما

ولكم بالجناح قد صفقت لي ومناقيرها تضج احتراما
يتظاهرن فرحة بقدومي مفصحات بالزقزقات كلاما
صائحات ، يوقظنني من رقادي طالبات عواطفا ، وطعاما
ويحدقن بي ، فافهم منها الف معنى ، يحير الافهاما
حسبتني المسؤول عنها تماما لم أخيب ظنا لها ومراما

ان أسافر عنهن أوكل وصيا يتولى عني لها الاطعاما
طول عامي أبقى أفكر فيها فكأني لها أحس غراما
أرتجي الصيف مسرعا لي ياتي حيث يطفى لنا اللقاء الاواما
كم أثارت تعجبا ، وهي تعدو مسرعات الي ، واستفهاما
هي لي أسرة ، وكل حنان ونوال ، يؤلف الارحاما
كن سبعا ، واربع متن منها معقبات في مهجتي آلاما

عدت في لهفة ، بصيفي هذا فاذا الشاطيء استحال ركاما
واستحالت أشجاره لصخور واستحال الجو اللطيف ، قتاما
جعلوا الروض مرأبا ، لانتفاع واذا الانس فر منه انهزاما
تركوا بين دوحتين مكانا لي فيه ، والشمس تذكو ضراما
نمت فيه ، كأنني في جحيم رحت أشوى ، وما اقترفت اثاما
رحتارضي نفسي به، دار ذكرى مثلما دسوا الطلول احتراما
رحت ابغي نوما ، فابصر حلما باكيا في ، تلكم الاياما

واذا الوز مسرع ، لي يعلي زقزقات ، أطارت الاحلاما
رحت أبكي حزنا عليها بقلبي اذ فقدنا هناءنا والمقاما
رحت ابكي لها أبا في ، يمضي عن حماها قسرا ، فتحيا يتامى
ليتني حامل لها ، أين أمضي صاحباتي في الصيف، عاما، فعاما
هي لم تنسني اذا مر عام حافظات ، عهدا لنا ، وذماما

كان حظي من جنة الشام روضا صار فقدي له ، لانسي ختاما
كان في الشام جنتي ، ومصيفي فسالقى في كل صيف هياما
كان بردا لمهجتي ، وسلاما صار نارا تذيبني ، وضراما
سوف يبقى لذلك الروض جرح في فؤادي ، هيهات يلقى التئاما !

دمشق احمد الصافي النجفي



محمـد العدناني

معجم الاخطـاء الشائعـة

بقلم محمـد العدناني

***

صنـاع اليديـن

ويقولون : نساء صناع اليدين . والصواب : امـرأة صناع اليديـن (بفتح الصاد) ، أو : نساء صنع (بضم فضم) الايدي . أي : بارعات في العمل اليدوي .

الصهيونـي

ويقولون : صهيون وصهيوني وصهيونيون (بفتـح الصاد فيهـا) .
والصواب : صهيون (بكسر فسكون ففتح) وزان برذون ، كما جـاء في التاج واللسان ومتن اللغة . ومعناها : الروم او بيت المقدس او موضع في القدس . وقد قال الاعشى :

وان اجلبت صهيون يوما عليكما — فان رحى الحرب الدكوك رحاكمـا

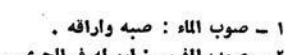
وقد تفاءلت حين وجدت حركـة اول حرف في كلمـة (صهيون) الكسر ، وآوثر ان اجمعها جمع تكسير ، فاقول : (صهاينة) بدلا مـن (صهيونيين) ، ذلك الجمع الذي ارتآه صاحب متـن اللغة ، لانهـم لا يستحقون ان يجمعوا جمع سلامة .

وارجو ان نكسرهم في معركتنا المقبلة معهم كما كسر أولهم (الصاد)، وكسر جمعهم ، وسيتحقق ذلـك باذن اللـه ، لان حاستي السادسة ما عودتني ان تكذبني .

صوب السهم

ويقولون : صوب السهم نحو الرمية . والصواب : صاب السهم (بضـم الميم) نحو الرمية ، أو : اصاب السهم (بضم الميم) الرميـة = اذا قصد ولم يجر (جار : عدل عن القصد . مال) ، او : صابهـا ، او : صاب السهم (بفتح الميم) نحو الرمية .

اما الفعل صوب (بتشديد الواو) ، فمن معانيه :



١ ـ صوب الماء : صبه واراقه .
٢ ـ صوب الفرس : ارسله في الجري .
٣ ـ صوبه : قال له (أصبت) .
٤ ـ صوب الله رأسه : نكسه . ومنه الحديث : من قطع سدرة (شجرة نبق) صوب الله رأسه في النار . ومر الحديث ايضا : صوب يده ، أي : خفضها .

وهنالك حالة واحدة تجيز لنا ان نقول : صوب السهم (بفتـح الميم) نحو الرمية ، وهي : اذا كان السهم عاليـا ، واضطررنا الـى خفضه لكي يصيب الهدف .

من كل صوب وحدب

ويقولون : جاءوا من كل صوب وحدب (بفتح فسكون) . والصواب : جاءوا من كل صوب (بفتح فسكون) وحدب (بفتح ففتح) . والصوب: هو الجهة والناحية . والحدب هو : الغليظ المرتفع مـن الارض . (راجع الآية ٩٦ من سورة الانبياء) .

مصـان

ويقولون : سرك مصان عندي . والصواب : سرك مصون (بفتح فضم) عندي ، لان المعاجم ليس فيها الفعل (أصان) . اما (مصوون) علـى التمام فشاذ لا نظير له الا مدووف (مبلـول ومسحوق) ومردوف ، لا رابع لها ، وهي لغة تميمية .

صيوان الاذن

ويسمون صدفة الاذن صيوان الاذن . والصواب : صوان الاذن (بكسر الصاد) . أما صوان الثياب وصوانها (بكسر الصاد وضمها) وصيانها (بكسر الصاد) ، فهو الوعاء الذي نصونها فيه ، ومثله صوان الكتب، أي (الخزانة) التي نضع فيها الثياب والكتب ، صونا لها من التلف. ويطلق الاساس على الصوان اسم الميدع (بكسر فسكون ففتح) ايضا. اما الصيوان فكلمة فارسية تعني الخيمـة الكبيرة . وجمعها : صواوين .

صاح عليـه

ويقولون : صاح على فلان ، أي : ناداه ، والصواب : صاح بـه ، وصيح (بتضعيف الياء) به ، وصايحه .
صاح له بفلان : دعاه له .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصائـــر

ويجمعون (مصير) على مصائر . والصواب : مصاير ، مثل : مسيل : مسايل ، ومصيف : مصايف ، ومعيشة : معايش . ومصيدة (بفتـح فكسر) ومصيدة (بفتح فسكون ففتح) : مصايد .

ان جمع التكسير على وزن (مفاعل) يطرد في كـل رباعي مبدوء بميم زائدة ، مذكرا كان او مؤنثا . مثل : مصاير ومفاسد ومنازل .

أما (مصيرة) ، التـي ورد في تـاج العروس ولسان العرب ان معناها : عاقبة الامر ومنتهاه ، فتجمع على (مصاير) ايضا ، لان يـاء (مصيرة) اصلية ـ صار يصير ـ ، ولذلك تبقى على حالها ، وليست مثل صحيفة : صحائف ، ومدينة : مدائن ، وسحابة : سحائب ، لان حرف المد هنا (ي ، ا) هو زائد ، فصحيفة من صحف ، ومدينة من مدن ، وسحابة من سحب ، ولذا يقلب حرف المد الزائد همزة .

انصـاع

ويقولون : انصاع فلان لرأي أبيه . والصواب : انقاد لرأي أبيـه ، أو : أطاع أباه وعمل برأيه ، لان الفعل (انصاع) معناه :

١ ـ انفتل راجعا مسرعا ، ٢ ـ تفرق (مجـاز) ، ٣ ـ انصاع القوم : مروا سراعا (مجاز) .

نموذجات من حرفي الضاد والطاء

ضبع مفترس

ويقولون : ضبع (بفتح فسكون) مفترس . والصواب : ضبع (بفتح

فسكون) او ضبع (بفتح فضم) مفترسة ، لان كلمة (ضبع) مؤنثة . وجمعها : ضباع (بكسر الضاد) واضبع (بفتح فسكون فضم) وضبع (بضم فضم) وضبع (بضم فسكون) وضبعات (بفتح فضم) ومضبعة (بفتح فسكون ففتح) وضبوعة (بضم الضاد) . ومذكره : الضبعان (بكسر فسكون) . وقيل : مؤنثة : ضبعانة (بكسر فسكون) وضبعة (بفتح فضم) وهما غير معروفين . والجمع : ضباعين (كسرحان وسراحين ، وانكره ابو حاتم) ، وضبعانات (بفتح فسكون) .

وتعني كلمة (الضبع) ايضا : السنة المجدبة الشديدة .

ضحى حياتـه

ويقولون : ضحى حياته دفاعا عن وطنه . والصواب : ضحى بحياته .. اما الفعل ضحى (بتضعيف الحاء) المتعـدي دون حرف جر ، فمن معانيـه :

١ ـ ضحى فلانا تضحية : غداه ، ويقال : ضحاه = اطعمـه في أي وقت كان ، والاعرف أنه في الضحى .

٢ ـ ضحينا الجيش الاسرائيلي : أتيناه ضحى مغيرين عليه .

٣ ـ ضحى ابله : رعاها ضحاء .

اما ضحا الطريق يضحو ضحوا (بضم فضم فتضعيف) ، فمعناه: بدا وظهر . وليس لكلامه ضحى ، أي : بيان وظهور .

و ضحى (بتضعيف الحاء) عن الامر : (أ) اظهـره وبينـه (مجاز) .

(ب) تانى عنه ، واتاد ، ولم يعجل اليه (مجاز) .

و ضحى (بتضعيف الحاء) عنه : رفق به .

و ضحى (بتضعيف الحاء) فلان : ذبح الاضحية .

و أضحى عن الامر : بعد عنه .

و أضحى الشيء (بفتح الهمزة) : أبداه واظهره .

و ضحا ظله (بضم اللام المضعفة) : مات (مجاز) .

اضطر للسفر

ويقولون : اضطر تميم للسفر . والصواب : اضطر تميم الى السفر . اي : الجيء اليه .

راجع الآية ١١٩ من سورة الانعام . والآية ١٢٦ من سورة البقرة. والآية ٢٤ من سورة لقمان .

أضفى عليه جلالا

ويقولون : أضفى عليه جلالا . والصواب : أكسبه جلالا ، لان المعاجم لم تذكر الفعل (اضفى) .

وهنالك الفعل : ضفا يضفو ضفوا (بفتح فسكون) وضفـوا (بضم فضم فتضعيف) . ومن معانيه :

١ ـ ضفا المال : كثر واتسع .

٢ ـ ضفا الشعر والصوف : طالا .

٣ ـ ثوب ضاف : سابغ (طال الى الارض ، وفعله : سبغ) .

٤ ـ ضفا الماء : فاض .

٥ ـ الضفا : جانب الشيء ، وهما ضفواه (بفتح ففتح) أي : جانباه .

٦ ـ ضفوة (بفتح فسكون) العيش : رغد العيش (مجاز) .

٧ ـ الضفو (بفتح فسكون) : الخير والسعة (التاج) .

٨ ـ ضفى الرجل يضفي : افتقر . (نقله الازهري والصاغانـي عن ابن الاعرابي) .

طبع الفرس

ويقولون : طبع (بتشديد الباء وفتحها) الفرس الجموح . والفرس الجموح : هو الذي يركب راسه ، لا يثنيه شيء . والصواب : ذلـل الفرس الجموح او روحنه (بتشديد الواو وفتحها) من الفعل ، راض الفرس يروضه روضا ورياضا ورياضة : ذلله ، جعله مسخرا مطيعا ، وعلمه السير .

وقد انفرد صاحب « متن اللغة » بقوله : طبع المهر = ذللـه . وقد فاته الصواب هنا .

ومن معاني طبع (بتشديد الباء وفتحها) :

١ ـ طبع الدلو : ملأها ، ٢ ـ طبع الماء : نجسه ، ٣ ـ طبـع الناقة : ثقلها بالحمل .

أمـر طبعي

كل ما كان على وزن (فعيلة) ، اذا لم تكن عينه مضعفـة او معتلة ، ينسبون اليه على وزن فعلي (بفتح ففتح) بحذف ياء فعيلة ، فيقولون: هذا أمر طبعي . والصواب : هذا أمر طبيعي ، بابقاء ياء (فعيلة) ، لان النسبة الى طبيعة وسليقة وغريزة وبديهة وسليمة (من قبيلـة الازد) وعميرة (من قبيلة كلب) ، هـي بابقـاء ياء فعيلة ، فنقول : طبيعي وسليقي وغريزي وبديهي وسليمي وعميري .

يقول النحاة بأن هذه هي الاسماء الشاذة الوحيدة ، التي ننسب اليها على وزن (فعيلي) ، بينما ننسب الى بقية الاسماء عـلى وزن (فعلي) ، فنقول : قبلي وحنفي وسمري (بفتح ففتـح) في النسب الى قبيلة وحنيفة وسميرة .

ولكن العلامة الاب أنستاس ماري الكرملـي ، العضو بالمجمـع اللغوي القاهري ، نشر مقالة في مجلة (المقتطف) ، عدد تموز (يوليو) ١٩٣٥ ، صفحة ١٣٦ ، اثبت فيها ان النسبة الى (فعيلة) على وزن (فعيلي) ليست شاذة . ثم عرض مائة وثلاثة شواهد على تأييد رأيه ، واكد ان تلك الشواهد ليست كل الوارد ، اذ لم يتسع وقته لجمـع الباقي الذي يقطع بوجوده .

واستند أيضا في تأييد رأيه الى قول ابـن قتيبة الدينوري ، في كتابه « أدب الكاتب » صفحة ١٠٧ ، طبعة اوربا ، ونصه :

اذا نسبت الى فعيل (بفتح فكسر) او فعيلة من اسماء القبائل والبلدان ، وكان مشهورا ، القيت منه الياء ، مثل : ربيعة وبجيلـة وحنيفة ، فنقول : ربعي وبجلي وحنفي (بفتح ففتح فيها كلها) . وفي ثقيف : ثقفي ، وعتيك : عتكي . وان لم يكن الاسم مشهورا ـ علما كان أم نكرة ـ لم تحذف الياء في (فعيل) ولا (فعيلة) .

فمن هذا نستنتج :

١ ـ ان النسب الى (فعيلة) هو : (فعيلي) قياسا مطردا .

٢ ـ انه يجوز النسب اليها على فعلي (بفتح ففتح) ، كما يرى بعض القدماء ، بالشروط الآتية :

أ ـ أن تكون عين فعيلة (بفتح فكسر) غـير مضعفة . فاذا كانت مضعفة ، وجب ابقاء ياء فعيلة . مثل : جليلة : جليلي .

ب ـ أن تكون عين فعيلة (بفتح فكسر) صحيحة ، اذا كانت اللام صحيحة . فاذا لم تكن كذلك ، وجب ابقاء ياء فعيلة ، مثل : طويلة: طويلـي .

ج ـ اشتهار الاسم المنسوب اليه شهرة فياضة ، تمنع الخفـاء واللبس عن مدلوله اذا حذفت ياء فعيلة للنسب .

ومتى اجتمعت هذه الشروط الثلاثة ، صح حذف الياء جوازا ، لا وجوبـا .

طبق طريقته

ويقولون : طبق (بفتح الباء المضعفة) طريقته . والصواب : اتبـع (بفتح التاء المضعفة) طريقته ، لان من معاني (طبق) ما يأتي :

١ ـ طبق الغيم (بضم الميم) تطبيقا : أصاب مطره جميع الارض (مجـاز) .

٢ ـ طبق الشيء : عم (بتضعيف الميم) .

٣ ـ طبقه : غطـاه .

٤ ـ طبق السيف (بضم الفاء) : أصاب المفصل فأبان العضو .

٥ ـ طبقت الابل الطريق : قطعته غير مائلة عن القصد (مجاز) .

٦ ـ طبق الحاكم (بضم الميم) والمفتي : أصاب الاول في حكمه ، والثاني في فتواه (مجاز) .

صيدا ـ لبنان

محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سر المنديل

★

أسر لي منديلها قصتها في أذني
وقال لي اني أنا وحدي الذي تسمعني
ولا تنام ليلها ان ليلة لم ترني
وتشتكي لي لوعة في القلب او في البدن
ان شفها يوما ضنى أسعفها ولا أني
أنا أمين سرها في السر او في العلن
أنا الاثير عندها ما شئت ، لا تمطلني
وان احبت صنتها صون الاريب الفطن
اصونها من مدمع كالماء بين اللبن
وكم بكت فوق يدي ليلا بدمع هتن
واسيتها حتى انثنت مياسة كالغصن
ان داعبت ريح الصبا اوراقه بالمزن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شهقتها أنا الذي احفظها من ظنن
ودمعها انا الذي اصونه في أعيني
وعطرها انشره في الصحو او في الوسن
فقلت : يا منديلها يا غارقا في المنن
تعال يا اثيرها يا سيدي وسكني
ويا نديم انسها يا عالما بالدخن
أنت الذي يوم اللقا يا عاطرا تصفعني
اعطتك لي ذكرى هوى وبارقا يؤنسني
فقل لها الذي ترى من صبوتي وشجني
وقل لها أنا الذي من حبها لا انثني

القاهرة — احمد عبد المجيد



بقلم المهندس حسني سيد لبيب



وقف في الطابور الطويل ينتظر دوره، وفي يده ورقة نقدية قديمة . تململ في وقفته . انه كهل تجاوز الاربعين، لكنه يبدو اكبر من سنه ، فهو غارق في صمت مبهم وعلى وجهه ارتسمت تقطيبة كبيرة . الزحام في كل مكان ، والاصوات ترتفع صاخبة مضجرة ، لا يجمعها رابط . نشبت مشادة كلامية بالقرب منه ، احد الواقفين يحاول انتزاع الدور من زميله . يتبادل الاثنان اقذع الوان السباب ، ويتدخل ثالث ...

يتفرج صابر على المشادة ، ولم يشأ ان يتدخل . كان ينتوي ان يعرض على احدهما ان يتقدمه في الدور ، لكنه تردد .. وحين هم بذلك ، الفى شخصا آخر يقف قبالته دون وجه حق ، ويزاحمه في دوره . اراد ان يؤنبه او يلومه ، ولكنه خشي تكرار المشادة فآثر الصمت ولم يفعل شيئا . كان الرجل الدخيل مفتول العضلات ، ممتلىء الجسم . وليس هناك ادنى مقارنة بين الاثنين . تنازل صابر عن حقه في الدور ، وتنازل ايضا عن الدفاع عن هذا الحق ، وارتضى ان يسبقه احد الفوضويين دون ان يرتفع له صوت ، او تسمع له كلمة . الا ان تصرف الفوضوي كان مثار ضيق نفسي لدى صابر . انب نفسه على هذا التخاذل .

فوجىء بالفوضوي الذي فرض نفسه ينسل من امامه ، واذا به امام القضبان الحديدية ، فيمد يده المعروقة ويبسطها بعد ان اطبقت طويلا على الورقة النقدية البالية :

– واحدة بنها .. اذا سمحت..

وضع التذكرة الخضراء في جيبه بحرص شديد ، ثم توجه الى رصيف القطار حيث يبدأ الرحلة المعتادة .

انه لا يفكر في ترتيبات الرحلة ، فكل شيء فيها معروف ومعتاد ، وليس هناك اي جديد . لقد تعود على هذه الرحلة ، ففي كل عام يسافر الى بنها مرتين ، الاولى في عيد الفطر والثانية في عيد الاضحى. دائما يقضي العيدين في مسقط رأسه ، ولم يحدث قط ان اخلف عيدا من الاعياد . فليس في حياة عم صابر مشاغل او مشاكل تمنعه من هذه الزيارة الدورية ، فهو اعزب وان كان قد تجاوز الاربعين من عمره . يعيش وحيدا تجتره مشاعر الوحدة وما اقساها ، الا انه الف هذه الحياة ولم يثر يوما ما عليها ، وان كانت اخته تثور عليه وتحثه على الزواج ، ولطالما ابتنه دون جدوى . وكلما بحثت له عن عروس ، يصدها برفضه ويخذلها بلا مبالية ، حتى يئست من حاله وقررت ان تدعه لشؤونه حتى يضطر في يوم ما الى الزواج . لكن يبدو ان صابر لم تضطره الحياة الى طلب الزواج ، وعاش غارقا في وحدته ، غارقا في انطوائيته .

تملى النظر في الارض الخضراء المنبسطة امامه وانسام رقيقة تدغدغ وجهه الذي حفرته الايام باخاديد تفضح سنه الحقيقي .
احس بالجوع فجأة . تذكر السلة التي يحلق عليها بساقيه ، شاء ان يتناول فطيرة الا انه تراجع وحرص على ان يظل ما بالسلة كما هو .. بالسلة عدة فطائر سيوزعها ترحما على أمه التي ماتت منذ اكثر من عشر سنوات ، وبالسلة ايضا بعض قطع الكعك والبسكويت والحلوى ، وهي الهدية التي يحملها الى صديقه خالد ، الذي يأنس اليه ويألف معاشرته .

نزل من القطار . وعلى رصيف محطة بنها بدأ يتملى في وجوه الناس ، وكأنه يقرأ صفحة جديدة من كتاب قديم . لم يطرأ تغيير على مدينته الاثيرة ، بائع السندويتشات الاعرج ما يزال واقفا في مكانه برغم ثقل الستين عاما . انه يعرفه تمام المعرفة ، دائما تقع عليه عيناه كلما وطئت قدمه اديم المحطة . اشترى منه سندويتشا ، لم يدهش من البائع الذي تجاهله ، فهو لا يعرفه، او انه لا ينتبه اليه !.. ان آلاف الوجوه تمر امام البائع المسن دون ان يركز على اي وجه منها .

اقتعد صابر كرسيا ، ووضع السلة بجانبه ، ثم أخذ يلوك السندويتش في تلذذ وتمهل ، وكأن المدينة ترقبه . هبط الدرج المتآكل ممعنا النظر في المدينة العتيقة ، وكأنه يطمئن على كل ما فيها ومن فيها .

هل طرأ تغيير على مسقط رأسه ؟.. من الصعب ان يجزم بشيء . ان صابر لم يتغير ، او انه وطد العزم على ان يجابه الحياة بوتيرة واحدة . قد تهتز الاشجار بفعل ريح فجائية ، قد يثور النيل الهادىء اثر امواج عاتية ، قد يتبدل حال بحال .. الا ان صابر قد كفل نفسه مئونة التفكير في شيء ذي بال .. واذا ما تفكر في أمر نفسه وجد نفسه امام سؤال جامد : كيف يتغير ؟!.

سار في الشارع الطويل . لا احد يأبه له . غريب في مدينة ليست غريبة عليه . الناس لا تنظر اليه ، وان نظرت فلا تمعن النظر او تلقى بالا . فقط لاحظه خياط عجوز يعرفه ، نادى عليه وحياه ..

– ازيك يا عم صابر .. كل سنة وانت طيب .

يرد صابر التحية ، ثم لا يجد ما يقوله ، ويواصل السير حثيثا وقد امتلأ ثقة بتحية الرجل ، وخيل اليه ان البلدة كلها تذكره ، تعرفه .. وتغيرت حاله . اخذ يستحث الخطى في ثقة . داست قدمه بالونة هربت من طفلة جميلة لا تتعدى السنوات السبع ، نظر الى الطفلة بانزعاج :

– لا تحزني .. سأشتري لك واحدة ..

بحث عن بائع البالونات ، اشترى واحدة وحين رجع الى حيث تقف الطفلة ، لم يجدها . توقف برهة ، واخذ يتلفت حواليه حتى اعياه البحث . لم يقابل سوى وجوه غريبة تمعن النظر فيه وكأنها تسأله عما يريد . وضع البالونة في جيبه وعاود مسيرته الهادئة ، وحوله يصخب الاطفال ويتغنون بمباهج العيد .

ظل سائرا في شارع المحطة الطويل ، وذكريات الصبا تتراقص امامه الآن . ذكريات بسيطة وهادئة لا تتسم بطابع المغامرة او الشقاوة . فقد ظل هادىء الطبع ، وهادىء الصوت ايضا ، لا تكاد تتبين ما يقول الا اذا تعودت على نبرة صوته . انعطف الى شارع جانبي ، ومر بمنزله القديم . منذ اكثر من عشرين عاما كان يقطن هنا مع اسرته ، ثم انحل عقد الاسرة كحبات اللآلىء المتناثرة .. لا تكاد تعثر على اثنتين متجاورتين . فقد ماتت امه منذ قرابة عشر سنوات ، وكان يتيم الاب منذ طفولته . وتزوجت اخته ورحلت مع زوجها الى القاهرة . واضطرت ظروف العمل اخاه ان ينأى عنه الى اسوان . وظل وحيدا في الشقة . كان صعبا عليه ان يتركها ، وظل متمسكا بها وكأنه يخشى ان تركها ان تعبث بها يد مستهتر فيعيث فيها فسادا . اعتبرها تراث الماضي الذي ينبغي ان يصان .

ثم زارته اخته فجأة وعرضت عليه ان يعمل في احد المصانع بحلوان ، الا انه عاندها وتشبث ببلدته ، مسقط راسه . اخذت تقنعه بشتى الطرق ، حتى اضطرها الامر الى البكاء .. فهي تعيش وحيدة بالقاهرة لا تجد اخا تلجأ اليه حين تضيق بها الدنيا . رضخ صابر اخيرا . لا سيما حين عرف ان زوج اخته سيكون الواسطة بينه وبين مدير المصنع .

واطمأن على الشقة حين طلبها منه خالد ، صديق عمره . وتزوج خالد ، ورحل صابر الى القاهرة . وكان صعبا عليه التكيف بالوضع الجديد ، فالقاهرة تتراءى له صاخبة مجنونة ، تغتال مشاعر الانسان وتحطمه بدوامتها الهائلة . وكان صعبا عليه ايضا التكيف في عمله الجديد ، الا ان زملاءه تعاطفوا معه حتى الفهم وارتاح لمعاشرتهم . الا انهم كلما حاولوا ممازحته كل بطريقته الخاصة ، يحس بالتفكك ، وبأنه لم يخلق لمثل هذا العمل . وما كان اجدره بحياة الشعراء الذين يخلون الى انفسهم ويتدبرون امر الكون والعالم ، ويتأملون مباهج الحياة .

ظل سائرا في شارع المحطة الطويل . هادىء البال ، متباطىء الخطى . افكار كثيرة تترى على خاطره وتسلخه من المكان الذي يسير فيه ، الى ان فوجىء بالمقهى الصغير الذي يلجأ اليه دائما . وقعت عيناه على الكراسي المتهالكة ، والدكة الخشبية التي يتربع فوقها عم متولي صاحب المقهى . تلفت حواليه باحثا عن الوجه الحبيب ، صديقه ، لكنه لم يجده . اقفر راجعا بسرعة حتى لا يلمحه عم متولي . لا يريد التورط في الجلوس الآن ، فليس من عادته مجاراة عم متولي في الحديث . يحس ان هناك فارقا بينه وبين عم متولي . يمم وجهه شطر المقابر في اقصى المدينة واخذ ينهب الطريق الترابي الطويل دون ان تكل قدمه او يدركه الاعياء . يحس براحة كبرى حين يفي بعهده ويزور المقابر في كل عيد ، يحس بأنه يرضى امه وهي في مثواها الاخير .

تربع المقرىء ورتل بعض آيات القرآن الكريم . وصابر ذاهل عنه ، يتلو الفاتحة على روح امه ويسقي الصبار . ثم رجع الى المقهى الصغير القابع في ركن منزو من المدينة . تهيأ لرؤية خالد ، وما احلى الجلوس معه . تباطأت خطواته وهو يجول بعينيه في انحاء المقهى الصغير يبحث عن وديعة الماضي واشراقة الحاضر ، عن صديق عمره .. صوت وقور يناديه :

– اتفضل يا صابر يا ابني ..

تقدم صابر نحو عم متولي وصافحه وبادله تهنئة العيد . ثم جلس بجانبه على الدكة الخشبية العتيقة . صمت عم متولي لحظات وكأنه يتدبر ما يقول وقد بدا عليه التأثر :

– ازيك يا صابر .. مبسوط في مصر ؟.

– الحمد لله .

حاول عم متولي ان يتحدث في موضوع ما ، الا ان الكلمات تتعثر على لسانه من قبل ان ينطق بها ، ويكون الصمت هو المارد الهائل الذي يسيطر بقواه الخفية على مجلسهما .

سأل صابر :

– الم يحضر خالد ؟.

– خالد .. البركة فيك .

وغار قلبه . احس كأنه يسقط في بئر سحيقة . جسده المنهوك من وعثاء السفر لا يملك ان ينفعل او يهتز ، وحولته المفاجأة الى انسان جامد لا يقوى على الحركة او النطق . انثالت الكلمات من شفتي عم متولي في هدوء ووقار ، مشفقا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بطاقة حب

وكان أن مر القطار
لم أرفع المنديل ، لم أقل بقية الكلام
صديقتي . والريح والتذكار
والطفل والعصفور والاشعار
عليكم السلام .. يا أيها الاحباب
عليكم السلام
حملت يا صحابتي ـ حقيبتي ـ والشوق والعذاب
لا تسألوا عن غربة الغريب
عذابكم ـ زوارق من الحنين ـ تقلني ـ
والليل والاسفار
علامتان للمشرد الوحيد

اواه .. يا أحبتي ما اصعب الفراق
ففي غد أخاف ان انساكم
اخاف ألا تنزل الامطار
الليل غربة وآخر المدى جدار
أغوص في بحار .. اموت في القرار
احبتي ، أحبتي . يا ايها المودعون
من ودع القطار
معذرة فانني على سفار
« قد رحل النهار .. قد رحل النهار »

لندن — لؤي درويش

على صابر ، مطيبا خاطره . تمتم صابر بصوت خفيض :

ـ ما أضيق الدنيا على نفسي !.

على هذه المقهى يلتقي به في كل عيد . يقطع هذه الرحلة الطويلة في كل عيد ليترحم على أمه ، ويلتقي بخالد ، صديق الصبا والشباب ، صديق الحياة . فما أضيق الحياة على نفسه الآن !. الدنيا واسعة عريضة ، لكنها تضيق في عينيه وتسود المرئيات امامه .

بجوار صابر يقبع كرسي من القش ، متهرىء القاعدة ، واهنة ارجله ، الكرسي يشكو القدم وسوء الحال . يقبع وحيدا في ركن منزو وكأنه في انتظار دوره ليفارق المقهى ويحال الى المعاش . يسيطر الوجوم على المقهى . ليس ثمة صوت او حياة . عامل المقهى يرقب وعاء الشاي على مصباح الغاز .. الوعاء يعلوه الهباب الاسود ، وتلون داخله بلون البن المحروق . يرقب الرجل وعاء الشاي وهو يغلي بنظرات كسلى ملولة .. يصيح عم متولي بصوت متحشرج :

ـ بسرعة الشاي ..

يرد العامل متثائبا :

ـ حاضر .

تناول عم متولي مواضيع كثيرة . حاول ان يستمر في الحديث ولا يصمت . لكن صابر صامت لا يتكلم الا لماما . هزه النبأ المفجع . وتبدو البلدة كلها كئيبة .

وضع الجرسون الشاي على ترابيزة حديدية صدئة . كوب شاي واحدة ، وليست اثنتان . احس بالغربة تنهش لحمه ، والوحدة تدمي فؤاده . عم متولي رجل اعيته السنون ، ولا يطمع في شيء سوى اللقمة التي تقيم اوده حتى يحين أجله المحتوم .

وامام المقهى ناد كبير يزدحم برواده وغالبيتهم شباب تحت الثلاثين . النادي المزدحم جيد الاضاءة ، مؤثث حديثا ، وقد روعي فيه فن الديكور . اشار عم متولي بيده متثاقلا :

ـ هذا النادي افتتح مؤخرا .. ناد جميل .. ألا تذكر ما كانت عليه مقهاي من اقبال وحيوية .. زمن مضى .. كل واحد يأخذ دوره .. وهكذا الحياة ..

غادر المقهى في خطى متثاقلة ، واقفر عائدا الى محطة القطار ، الخياط العجوز يصافحه بحرارة ..

ـ لا تحرمنا من زياراتك .. كل سنة وانت طيب .

وفي داخل المحطة ، ينظر اليه بائع السندويتشات مبتسما . يلوح له بيده . هل يعرفه في هذه المرة ؟! ونظر اليه صابر نظرات كسيرة .

وفور وصوله الى القاهرة ، توجه الى اخته ، استقبلته بابتسامة متكلفة ..

ـ حمد الله على السلامة .

واستطردت :

ـ عندي لك عروس . لا تحاول ان تخذلني في هذه المرة .. راعيت شروطك كلها .

تحسس جيبه لينقد ابنة أخته العيدية ، فعثر على البالونة .. فرحت الطفلة بها .. وهمت بامساكها ، الا انه منعها حتى ينفخها .. واخذت الطفلة تخيط البالونة الوردية بيدها الصغيرة حتى تفرقعت . ضحكت الطفلة واحمرت وجنتاها .

ـ سأشتري لك واحدة ..

راقبت مداعباته لابنتها في ارتياح . لا شك أنه تغير عن ذي قبل . ولم تتمالك نفسها من الفرحة ، فأطلقت الزغاريد . اهتز صابر ، واقشعر بدنه . هل تبتسم له الدنيا بعد طول عبوس ؟!

القاهرة — حسني سيد لبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احسان عباس - محمود زايد

انيس صايغ - عمران ابو حجلة

بقلم البدوي الملثم

***

١ - الدكتور احسان عباس

ولد « احسان » في قرية « عين غزال » الواقعة على مسافة ٢٥ كيلومترا الى الجنوب من مدينة حيفا بفلسطين عام ١٩٢٠ وفي تلك القرية الوادعة وقد محتها معاول الاحتلال الصهيوني من خارطة فلسطين ، نشأ « احسان » ودرس في مدرستها الابتدائية حتى الصف الثالث الابتدائي ، وقد حبذ مدير المدرسة لوالده ، يرحمه الله ، ارساله الى مدرسة المدينة ليكمل تعليمه اذ توسم فيه الخير والنباهة ، فاستجاب الوالد لنصح المدير وارسل « احسانا » الى مدينة حيفا ، رغم الصعوبات الكبيرة التي كان يواجهها القروي يومئذ في اكمال تعليمه ، اذ لم تكن هناك منازل لمبيت الطلاب الغرباء او وسائل اخرى تسهل على الطالب متابعة دراسته ، والذين عرفوا « احسانا » في تلك الحقبة لا يزالون يذكرون ان السنوات التي قضاها في حيفا كانت من اقسى السنوات في حياته ، لا لضيق الريفي ذرعا بحياة المدينة ، بل لان صبيا في الثامنة من عمره كان يحاول ان يشق طريقه في حياة العلم دون عون او سند .

واليوم حينما يعود « احسان » بذاكرته الى تلك المرحلة القاسية ، وكيف استطاع التغلب على تلك العقبات ... يجد ان تخطيها يشبه الحلم العنيف او الكابوس الجاثم على الصدر ، لكن دهشته تتلاشى وتضمحل عندما يذكر ان المرحوم والده كان قد غرس في نفسه ان العلم هو طريقه الوحيد في الحياة ، وان والده ، وقد حرمته ظروفه القاسية من تحصيل العلم ، كان يريد ان يرى « احسانا » - في هذا السبيل - شيئا مذكورا .

وحين أنهى « احسان » المستوى الثانوي الذي كانت توفره مدرسة حيفا ثم مدرسة عكا من بعدها كان في عداد الذين اختيروا لاكمال الدراسة في الكلية العربية بالقدس فامضى فيها اربع سنوات (١٩٣٧ - ١٩٤١) وكانت الشهادة المتوسطة التي احرزها حينئذ تؤهله لان يكون مدرسا في احدى المدارس الثانوية بفلسطين ، فعين معلما بمدرسة صفد الثانوية حيث امضى فيها خمس سنوات كاملات ، وقصد بعدها مصر لاكمال دراسته في جامعة القاهرة ، وفي عام ١٩٤٩ نال منها شهادة الليسانس في الادب العربي ، وفي ذلك العام كانت عودته الى الوطن المغصوب قد اصبحت مستحيلة بسبب التغيرات التي طرات بعد احداث ١٩٤٨ ، ولهذا قضى سنة كاملة في القاهرة مدرسا بمدرسة العائلة المقدسة ، وحين اتيحت له الفرصة لمغادرتها للعمل بكلية غوردن في الخرطوم سافر اليها في اوائل عام ١٩٥١ حيث ظل يعمل - فيما اصبح يسمى جامعة الخرطوم - مدة عشر سنوات .

واثناء عمله في جامعة الخرطوم نال شهادة الماجستير عام ١٩٥٢ من جامعة القاهرة وكان موضوع رسالته « حياة الشعر العربي في صقلية » وبعد عامين حصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة نفسها وكان موضوع الاطروحة التي قدمها لجامعة القاهرة « نزعة الزهد واثرها في الادب الاموي » ، وفي عام ١٩٦١ عين استاذا للادب العربي في الجامعة الاميركية ببيروت حيث لا يزال يعمل حتى اليوم .

من آثاره القلمية : خلال الفترة الطويلة التي امضاها الدكتور احسان في حقل التدريس صدر باسمه كثير من الكتب والبحوث والمقالات ، وكان بعض الكتب التي صدرت باسمه تاليفا وبعضها تحقيقا وبعضها ترجمة .

ففي ميدان التاليف عرفنا من آثاره القلمية المطبوعة التالي :

١ - الحسن البصري - دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٥٠
٢ - عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث - دار بيروت ١٩٥٢
٣ - فن الشعر - دار بيروت ١٩٥٦
٤ - فن السيرة - دار بيروت ١٩٥٦
٥ - أبو حيان التوحيدي - دار بيروت ١٩٥٦
٦ - الشعر العربي في المهجر الامريكي (بالاشتراك مع الدكتور محمد نجم) دار صادر وبيروت ١٩٥٧
٧ - الشريف الرضي - دار صادر وبيروت ١٩٥٩
٨ - العرب في صقلية - دار المعارف بمصر ١٩٥٩
٩ - تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة - دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٠
١٠ - تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين - دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٢
١١ - بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره - دار الثقافة، بيروت ١٩٦٩
١٢ - تاريخ ليبيا - دار ليبيا للنشر ١٩٦٧

وفي مجال التحقيق اصدر الدكتور احسان كتبا عديدة منها :

١ - خريدة القصر للعماد الاصفهاني (بالاشتراك مع الدكتور أحمد امين والدكتور شوقي ضيف) جزءآن لجنة التاليف والترجمة ، القاهرة ١٩٥٢
٢ - رسالة في التعزية لابي العلاء المعري - دار الفكر بالقاهرة ١٩٥٢ .
٣ - رسائل ابن حزم الاندلسي - نشر الخانجي ، القاهرة ١٩٥٤
٤ - فصل المقال لابي عبيد البكري (بالاشتراك مع الدكتور عبد المجيد عابدين) الخرطوم ١٩٥٨
٥ - جوامع السيرة لابن حزم - (بالاشتراك مع الدكتور ناصر الدين الاسد) دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٨
٦ - التقريب لحد المنطق لابن حزم - دار الحياة ، بيروت، ١٩٥٩
٧ - ديوان ابن حمديس الصقلي - دار صادر وبيروت ، ١٩٦٠ .
٨ - الرد على ابن النغريله اليهودي ورسائل اخرى . لابن حزم- دار العروبة ، القاهرة ١٩٦٠
٩ - ديوان الرصافي البلنسي - دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٠ .
١٠ - ديوان القتال الكلابي - دار الثقافة ، بيروت ١٩٦١
١١ - ديوان لبيد بن ربيعة العامري - الكويت ١٩٦٢
١٢ - أخبار وتراجم أندلسية - دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٣
١٣ - ديوان الاعمى التطيلي - دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٣
١٤ - شعر الخوارج - دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٣
١٥ - الكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب - دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٣
١٦ - الذيل والتكملة على كتابي الوصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي الجزء الرابع - دار الثقافة ١٩٦٤
١٧ - الذيل والتكملة - الجزء الخامس - دار الثقافة ١٩٦٥

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٨ ــ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب في ثمانية مجلدات ــ دار صادر ، بيروت ١٩٦٨
١٩ ــ طبقات الفقهاء للشيرازي ــ دار الرائد العربي ، بيروت ١٩٦٩
٢٠ ــ ديوان الصنوبري ــ دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٠.
٢١ ــ ديوان كثير عزة ــ دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٠.
٢٢ ــ وفيات الاعيان لابن خلكان صدر منه ثلاثة اجزاء من اصل ثمانية ــ دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٨ ــ ١٩٧٠.

وفي ميدان الترجمة اصدر الدكتور احسان عباس ما لا يقل عن تسعة كتب ، مستقلا او بالاشتراك مع عدد من اعلام الادب العربي المعاصر ، وقد عرفنا منها :

١ ــ كتاب الشعر لارسطو طاليس ــ دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٥٠.
٢ ــ النقد الادبي ومدارسه الحديثة لستانلي هايمان ــ مجلدان (بالاشتراك مع الدكتور محمد يوسف نجم) بيروت ١٩٥٨ ــ ١٩٦٠.
٣ ــ دراسات في الادب العربي لكارلوس بيكر (بالاشتراك مع مجموعة من الاساتذة) ــ بيروت ١٩٥٩
٤ ــ ارنست همنغواي ــ بيروت ١٩٥٩
٥ ــ مقال في الانسان او فلسفة الحضارة لارنست كاسيرر ــ بيروت ١٩٦١
٦ ــ يقظة العرب لجورج انطونيوس (بالاشتراك مع الدكتور ناصر الدين الاسد) ــ بيروت ١٩٦٢
٧ ــ دراسات في الحضارة الاسلامية للسير هاملتون جب (بالاشتراك مع الدكتور محمد يوسف نجم والدكتور محمود زايد) بيروت ١٩٦٤
٨ ــ قصة موبي ديك لهرمان ملفل ــ بيروت ١٩٦٥
٩ ــ ت. س. اليوت تأليف ماتيش ــ بيروت ١٩٦٦

ومن البحوث العلمية والمقالات الادبية عرفنا ما يلي :

١ ــ نازك الملائكة والتجديد في الشعر ــ الثقافة ١٩٥٢
٢ ــ احمد امين : طريقته في الكتابة والتأليف ــ الابحاث ١٩٥٦
٣ ــ فصل في تاريخ العقيدة في ديار الشام ــ الابحاث ١٩٥٦
٤ ــ دور شرق الجزيرة في الادب الجاهلي ــ الموسم الثقافي ، الكويت ١٩٥٧
٥ ــ النقد الادبي في الاندلس ــ الابحاث ١٩٥٩
٦ ــ مصادر الادب الاندلسي والمغربي ــ كتاب الادب في آثار الدارسين ــ بيروت ١٩٦١
٧ ــ القتال الكلابي ــ الابحاث ١٩٦١
٨ ــ نظرة جديدة في النقد القديم ــ الآداب ١٩٦١
٩ ــ الاتجاهات الفلسفية في الادب العربي المعاصر ــ الآداب١٩٦٢
١٠ ــ اخبار الغناء والمغنين في الاندلس ــ الابحاث ١٩٦٣
١١ ــ الجانب السياسي في رحلة ابن العربي الى المشرق ــ الابحاث ١٩٦٣
١٢ ــ ابو حيان التوحيدي وعلم الكلام ــ الابحاث ١٩٦٦
١٣ ــ ابن رضوان وكتابه في السياسة ــ نشر في كتاب العيد المئوي ــ بيروت ١٩٦٦
١٤ ــ رحلة ابن العربي الى المشرق كما صورها قانون التاويل ــ **الابحاث ١٩٦٨**

يؤمن الدكتور احسان عباس وعارفو ادبه بانه خدم امته ، وتراثها الثقافي ، لكنه وقد اطل على بواكير العقد السادس من عمره المديد اصبح يؤمن بان « البندقية » كانت أبلغ قولا وعملا في سبيل تحرير وطنه المغصوب ، وشعبه المصلوب ، وشرف امته المطعون !

نموذج من نثره : « وحين ادركه الارهاق وبلغ بعضه للمدينة القصاء هاجر عائدا الى جيكور فوجدها قد تغيرت عما عهده ، واحس ان صورته فيها قد هرمت وتحيفها الزمن ، وواكب ذلك مرضه الجسدي وتنقله للاستشفاء ، فاصبحت هذه المرحلة الاخيرة في حياته تسجيلا للماضي والحاضر ، بصورة عفوية تلقائية ، واضمحلت الاسطورة القديمة فاخذ يتلمس الاستعانة باسماء جديدة يرمز بها الى حاله وواقعه ، وكانت قصائده جميعا « مذكرات » تدون تباعا ، وقد احتفظ بهذه القصائد جميعا ولم يسقط منها ــ فيما يبدو ــ أي شيء ، مع انه اسقط كثيرا من شعره في كل المراحل ولم يضمنه دواوينه . وبعد ان كان يعتمد في قصائده ــ فيما مضى ــ على تدافع الصور وحشدها، وعلى التفصيلات والتفريعات في المناظر ، وعلى ايراد التشبيهات الطويلة ، اصبح في قصائد هذه الفترة يتكيء على تتابع الحركة والخبر السردي وخاصة في قصائده التي اخذ يؤرخ فيها ذكريات الماضي . وبين المرحلتين اللتين تقومان على صنفين من الحشد والتكديس علت نغمة التساؤل الملح في قصائد فترة « سلال الصبار في بابل » لصلة التساؤل بالدهشة والنقمة والحيرة والحنق ازاء « أيام الرعب » .

والحق ان حياة بدر شاكر السياب تتضمن قوسين كبيرين هما مرحلتا البحث عن الام ــ أو العلاقة بين الشاعر والموت ــ وبينهما خط قصير نحيل متعرج يمثل انسجامه الفني في الجماعة او نقمته عليها وفي اثناء تلك الفترة القصيرة زمنيا وجد الشاعر نفسه ثم فقدها في سرعة.

وفي نهاية كل مرحلة ختم السياب آثاره بالشك في قيمتها ، فانه حين اتجه الى اليسار في قصائده نذر انه لن يعود الى مثل القصائد الذاتية التي نظمها في الفترة الاولى ، لان الشعراء الذاتيين ــ في نظره ــ يخونون قضية امتهم ، وكانه كان يتبرأ من ديوانيه « أزهار ذابلة » و « أساطير » ، وحين ثار على الشيوعيين نظر في ازدراء أو استخفاف الى ما انشاه ــ او ترجمه ــ وهو منتم اليهم ، وشكك الدارسين في سلامة الدوافع التي ألهمته ، او عد اعمال تلك الفترة ثمرة للتضليل ، وحين زحف الى دنيا الخلاص الفردي انكر الالتزام أي « شجب » قصائده القومية الملتزمة ، وعندما أخذ الموت يمتص ما تبقى من وجوده رثى الشعر الحديث جملة .

والسر كل السر في شخصية بدر ــ لا في ايمانه بشعره ــ تلك الشخصية التي يلتقي فيها البكاء بالضحك على صعيد ، ويتردد صاحبها بين ذروة الانفعال وحضيضه دون تدرج ، ولا يفيء الى قاعدة فكرية صلبة ، ولا يسعفه الاغراق في الحساسية على الانضواء طويلا في الجماعة ، لانه ينكر نفسه اذا هو لم يحس بها منفردة متفردة في آن ، وهي شخصية المتلذذ بعذاب الحرمان من الحب والجاه والمال ، الذي يرد هذا الحرمان الى غير اسبابه الواقعية ، ولهذا كان دائما يحس انه مقهور مستذل يود المجتمع ان يقتله وتريد المدينة ان تصعقه بكهربائها ، وكان احساسه بالبؤس منافيا لايمانه بموهبته الفنية ، فبينا يضعه الاول موضعا مهينا ويحيل حيويته الى زحف في سبيل اللقمة ، كان يريد من الثاني ان يفرض له على المجتمع مكانة مرموقة ، وكان يضيق ــ وحق له ــ بالنكران الجاهم الذي يلقاه ، ولعل اشارة صغيرة ذكرتها الاديبة الراحلة سميرة عزام توضح هذا كله حين قالت : « ولعل السياب لم يحسن في حياته الا ان يكون شاعرا ، هكذا كان يتأكد لي في كل مرة يقف فيها موقف المتهم من صاحب المجلة او مدير ادارتها ، فاشفق عليه من هذا الحساب واتساءل : الا يشعر السياب بان له ظلا يلف المجلة ومن فيها ؟ » وقد حدثتني سميرة ــ رحمها الله ــ بنماذج من تلك الوقفات التي كان يقفها السياب مواجها التقريع والتعنيف وهو مطاطيء الرأس لا يستطيع ان يرد او يثور مخافة ان يفقد مصدر عيشه .

وكان هذا الشعور يتحول في نفسه الى حنق بالغ فلا يجد لذلك الحنق متنفسا سوى الشعر ، وقد واكب هذا الحنق شعر السياب فكان انفعالا مديدا يريد ان يتجاوز الحد الطبيعي للقصيدة فيحولها الى ملحمة ، وهذه السورة التي تطغى حتى تجاوز كل حد هي التي جعلته يمعن في تصوير عهد الرعب ويتلذذ بذلك الامعان ، اذ كان الحنق هو المحرك القوي لطاقته الشعرية ، وحسب المرء ان يقارن بين قصائد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فترة الرعب وقصائد الفترة اليسارية ليـدرك ان الغضبة الجارفـة النابعة من شعوره الفردي كانت أشد من كل نقمة تعلمها من مبادئه الثورية ضد الاستغلال والاحتكار والاستعمار وضد الفئات التي تغتصب حقوق الشعب وتأكل خير الوطن وتسلط الشرطة والجيش على قمع مظاهرات الجائعين والمظلومين . ولهذا الحنق نفسه اختار ان يصور شخصيات مسحوقة الكيان او الضمير ويضع على السنتها تمنيات بالتدمير والهدم والعدم » .

٢ ـ الدكتور محمود زايد

ولد « محمود » في بلدة « عنبتا » (قضاء طولكرم) بفلسطين عام ١٩٢٣ واتم دراسته الابتدائية في مسقط راسه ودراسته الاعدادية بمدينة طولكرم ودراسته الثانوية بين الكلية الرشيدية والكلية العربية ونال الشهادة الثانوية عام ١٩٤٢ وعين معلما في معارف فلسطين وعمل في مدارس « برقة » و « الرملة » و « اللد » . وبعد ان مني العرب بخسران فلسطين عام ١٩٤٨ قصد القاهرة والتحق بكلية الآداب في جامعة القاهرة ونال ليسانس في التاريخ عام ١٩٥٠ وشد الرحال الى الكويت وعمل استاذا في المدرسة المباركية (١٩٥٠ ـ ١٩٥٢) .

وفي عام ١٩٥٣ تعاقد مع الجامعة الاميركية في بيروت للتدريس في القطاع الثانوي ودرس حتى احرز الماجستير في التاريخ وكان موضوع الدراسة التي قدمها « رحلة برتراندون (١) دي لا بروكيير الى فلسطين ولبنان وسورية (١٤٣٢ م) » .

وفي عام ١٩٥٤ عين استاذا للتاريخ العربي والاسلامي في الجامعة الاميركية ببيروت وفي عام ١٩٥٧ قصد الولايات المتحدة والتحق بجامعة ييل لنيل الدكتوراه وكان موضوع الاطروحة التي قدمها « العلاقات المصرية ـ البريطانية ومعاهدة عام ١٩٣٦ » . وخلال اقامته في جامعة ييل درس طلابه التاريخ العربي والثقافة الاسلامية وفي عام ١٩٦٠ عاد الى الجامعة الاميركية في بيروت وتولى تدريس التاريخ العربي والاسلامي في العصر الوسيط وتاريخ مصر الحديث .

وفي اعوام ١٩٦٤ و ١٩٦٥ و ١٩٦٨ زار لندن للتحري على الوثائق البريطانية في المتحف البريطاني المتعلقة بمصر وتاريخها السياسي .

من آثاره القلمية : خـلال دراسته الجامعية بالقاهـرة زاول « محمود » الصحافة ونشر قصصا ومقالات صحفية في مجلة « الستار » المصرية كما شارك في « الموسوعة العربية الميسرة » التـي اصدرتها مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر في القاهرة عام ١٩٦٥ . وقبل الكارثة الاولى التي أصابت العرب في فلسطين بدأ نشاطه الادبي والفكري فنشر عدة كتب مدرسية كانت الغاية منها ان تكون قراءات للطلاب منها:

١ ـ نساء خالدات ـ طبع عام ١٩٤٥
٢ ـ قصص من التاريخ ـ طبع عام ١٩٤٦
٣ ـ يوليسيز التائه ـ طبع عام ١٩٤٦
٤ ـ العربي في حروبه ـ طبع عام ١٩٤٦

وللدكتور زايد كتب مترجمة عرفنا منها :

١ ـ الامبراطورية البيزنطية تاليف نورمان برنيز ـ وقد نشرته لجنة التاليف والترجمة والنشر في القاهرة (بالاشتراك مع الدكتور حسين مؤنس) طبع عام ١٩٥٠
٢ ـ العرب في التاريخ : تاليف برنارد لويس (بالاشتراك مع الدكتور نبيه فارس) طبع عام ١٩٥٤
٣ ـ آراء روسو الحية : تاليف جون ديوي ـ طبع عام ١٩٥٧
٤ ـ آراء جيفرسون الحية : تاليف جون ديوي ـ طبع عام ١٩٥٧
٥ ـ الاصول الثقافية للحضارة الصناعية : تاليف جون نيف ـ طبع عام ١٩٦٢
٦ ـ دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية : تاليف هيو آتكن ـ طبع عام ١٩٦٣

كما شارك في كتب تاريخية منها :

١ ـ التغير السياسي والاجتماعي في مصر الحديثة ـ طبع عام ١٩٦٨
٢ ـ الثورة العربية الكبرى ـ طبع عام ١٩٦٨

وصنف الدكتور زايد كتبا باللغة الانكليزية عرفنا منها :

١ ـ تحقيق كتاب التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ـ طبع عام ١٩٦٤
٢ ـ كفاح مصر في سبيل الاستقلال ـ طبع عام ١٩٦٥
٣ ـ أبعاد القضية الفلسطينية ـ طبع عام ١٩٧٠
٤ ـ سيرة نور الدين محمود ـ طبع عام ١٩٧١

كما نشر كتبا مبسطة للتراث العربي منها :

١ ـ سيرة الرسول ـ طبع عام ١٩٦٧
٢ ـ العقد الفريد (جزآن) طبع عام ١٩٦٧

وللدكتور « زايد » مقالات مطولة وابحاث منوعة ... موزعة في امهات الصحف والمجلات العربية ، خاصة في مجلة « الابحاث » التي تصدر عن الجامعة الاميركية في بيروت ، وقد توفر في بعضها على دراسة الاحزاب السياسية المصرية قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وله في مجلة « العربي » الكويتية مقالات تناول فيها موضوعات شتى .

نموذج من شعره : وكما عالج الدكتور « زايد » القصة القصيرة والمقالة والسيرة فقد نظم الشعر في مناسبات مختلفة منها ان طلابه سألوه ذات يوم ان ينشدهم شيئا من شعره وكانت حصة الدرس قصيدة بالانكليزية عنوانها « أريد جزيرة ! » فبادر الى ترجمتها بالعربية وكان منها :

أريـد جزيرة لا صوت فيهـا ... ولا رجلا يـدق علـي بابـي
أتيه على الشواطىء حين أهوى ... خلي البال مـن كـل المصاب
فأعبث بالزهـور الخضر حينا ... وحينا بالحجارة والتراب
واطلق في الهـواء الطلق قلبي ... ليلهو فوق ناصية السحاب
اذا نامت طيور الغـاب ليـلا ... أويت الى الفراش على الروابي
أريد جزيرة كالسـر تخفـى ... فيقصر عـن ملاحقتي طلابـي
أغني والسعادة مـلء قلبـي ... وأبسم في الغـدو وفي الاياب
أريـد جزيرة لا هـم فيهـا ... قريـر البال موفـور الجنـاب
وكل حقيقـة في العيش حلـم ... لعمـر خالـد وبلا حساب

٣ ـ الدكتور أنيس صايغ

ولد « انيس » في مدينة طبرية (بفلسطين) عام ١٩٣١ وانهى دراسته الابتدائية في مدرسة الحكومة للبنين بمسقط راسه (١٩٢٩ ـ ١٩٤٦) والثانوية في مدرسة صهيون بالقدس ثم في « مدرسة الفنون » بصيدا (لبنان) (١٩٤٦ ـ ١٩٤٩) والتحـق بالجامعة الاميركية في بيروت (١٩٤٩ ـ ١٩٥٣) وعين استاذا للتاريخ العربـي في القسم الفرنسي بالجامعة الاميركية في بيروت (١٩٥٦ ـ ١٩٥٧) ثـم التحق بجامعة كمبردج بانكلتـرا (١٩٥٩ ـ ١٩٦٤) للدراسة وتخصص في العلـوم السياسية والتاريخ العربي وعين استاذا في دائرة الدراسات الشرقية بجامعة كمبردج (١٩٥٩ ـ ١٩٦٤) فمديرا لادارة القاموس الانكليـزي العربي (١٩٦٤ ـ ١٩٦٦) ، وفي عام ١٩٦٦ عين مديـرا عاما لمركـز الابحاث في « منظمة التحرير الفلسطينية » فرئيسا لقسم الدراسات الفلسطينية في « معهد الدراسات والبحوث العربي في القاهرة بالانابة » (١٩٦٩ ـ ١٩٧٠) .

ولا يسع المؤرخ المنصف ، وهو يتحدث عن الدكتور انيس صايغ الا ان يشيد بغيرته على القضية الفلسطينية وشرح ظلاماتها ، وباندفاعه في نشر الكتب المفيدة وكلها تعالج القضية الكبرى باقلام منصفة تؤازر الحق .

وفي مطلع اذار ١٩٧١ اصدر « مركز الابحاث » في منظمة التحرير الفلسطينية الذي يشرف على ادارته الدكتور صايغ في بيروت مجلـة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

باسم «شؤون فلسطينية» وهي دورية تصدر كل شهرين باللغة العربية.

ومنذ تولى الدكتور أنيس زمام الاشراف على « مركز الابحاث » بيروت وهو يتحف القارىء العربي بروائع المؤلفات التي تتناول موضوعات شتى عن قضية فلسطين وتؤكد انه ناقد ذواقة في اختيار نفائس الكتب .

من آثاره القلمية : عالج الدكتور انيس بقلم التجرد والانصاف موضوعات قومية حساسة ، ايمانا منه بان من حق وطنه العربي الكبير عليه ان يكشف الرغوة عن الصريح ويوضح خفايا وملابسات لصقت ببعض القضايا العربية حتى اصبحت جزءا منها .

ومن الكتب التي صنفها وخرجت في عدة طبعات :

١ - لبنان الطائفي - بيروت ، دار الصراع الفكري ١٩٥٧

٢ - الاسطول الحربي الاموي في البحر الابيض المتوسط - بيروت ١٩٥٦

٣ - جدار العار - بيروت ١٩٥٧

٤ - سورية في الادب المصري القديم - بيروت ١٩٥٨

٥ - الفكرة العربية في مصر - بيروت ١٩٥٩

٦ - تطور المفهوم القومي عند العرب - بيروت ، دار الطليعة ١٩٦١

٧ - في مفهوم الزعامة السياسية - بيروت ، المكتبة العصرية ١٩٦٥

٨ - الهاشميون والثورة العربية الكبرى - بيروت ، دار الطليعة ١٩٦٦

٩ - الهاشميون وقضية فلسطين - بيروت ، المكتبة العصرية ١٩٦٦

١٠ - فلسطين والقومية العربية - بيروت ، مركز الابحاث ١٩٦٦

١١ - ميزان القوى العسكرية بين الدول العربية واسرائيل - بيروت ، مركز الابحاث ١٩٦٧

١٢ - بلدانية فلسطين المحتلة - بيروت ، مركز الابحاث ١٩٦٧

١٣ - المستعمرات الاسرائيلية الجديدة منذ عدوان ١٩٦٧ بيروت ، مركز الابحاث ١٩٦٩

١٤ - الجهل بالقضية الفلسطينية - بيروت ، مركز الابحاث ١٩٧٠

وتولى الدكتور صايغ رئاسة تحرير :

١ - مجلة العلية (بيروت ، ١٩٥٦ - ١٩٥٩)

٢ - سلسلة اليوميات الفلسطينية - بيروت ، مركز الابحاث ، منذ المجلد الثاني الى المجلد الحادي عشر (١٩٦٦ - ١٩٧٠)

وحرر الدكتور صايغ في بعض مواد :

١ - الموسوعة العربية الميسرة (موسوعة فرانكلين ، القاهرة ١٩٦٥)

٢ - قاموس الكتاب المقدس (بيروت ، مركز الابحاث ١٩٦٧)

٣ - دراسات فلسطينية (بالالمانية)

٤ - يوميات هرتزل (بيروت ، مركز الابحاث ١٩٦٧)

٥ - من الفكر الصهيوني المعاصر (بيروت ، مركز الابحاث ١٩٦٨)

٦ - فلسطينيات ج١ (بيروت ، مركز الابحاث ١٩٦٨)

٧ - فلسطينيات ج٢ (بيروت ، مركز الابحاث ١٩٦٩)

٨ - الفكرة الصهيونية (بيروت ، مركز الابحاث ١٩٧٠)

٩ - العمليات الفدائية خارج فلسطين المحتلة (بيروت ، مركز الابحاث ١٩٧٠)

١٠ - رجال السياسة الاسرائيليون (بيروت ، مركز الابحاث ١٩٧٠)

نموذج من نثره : « تقصيرات العرب بحق فلسطين كثيرة ، لكنها ليست باكثر من تقصيراتهم بحق انفسهم وكياناتهم المختلفة ، وهي حصيلة عوامل متعددة ليس من ضمنها موقفهم من فلسطين ومدى ايمانهم بقضيتها . وعلى العكس من ذلك : نستطيع ان نقول ان العرب في اغلب الاحيان واغلب الاماكن اعتبروا قضية فلسطين قضية عربية ، وقضية كل قطر عربي ، منذ البدء ، ولم تكن قضية فلسطين قضية خارجية ، ولا كانت قضية غريبة ، في أي كيان عربي في يوم من الايام .

وحتى حينما كانت المساعدات العربية تقتصر على التأييد المعنوي والخطب الحماسية والمشاعر غير الفعالة ، وحتى حينما كان معظم الاقطار يخضع لاحكام اوربية ، كان عرب فلسطين ، المجاهدون بالفعل، يرتاحون لذلك التأييد على حدوده الضيقة ، ويرجون منه الخير ، خاصة وان الشعب العربي كان السباق الى العطف والمناصرة والتفاعل مع الاحداث في كافة الاقطار ، وكان يفرض نفسه على حكوماته المترددة احيانا ، او المتحفظة لهذا السبب او ذاك ، او المستسلمة لارادة الاجنبي . بفضل الوعي الشعبي سارت الحكومات العربية المختلفة ، في مدى نصف قرن من الزمان تقريبا ، في تيار مناصرة القضية الفلسطينية ، عن رغبة او عن رهبة ، والتقت مع الشعب الثائر المتحمس .

تنبه العرب الى الخطر الصهيوني منذ ان بدات الصحف ووكالات الانباء تتناقل خبر استفحال الاطماع الصهيونية في الوطن العربي ، وفي فلسطين بوجه خاص ، واذ بتلك الاطماع قد شرعت تكشف عن نفسها بادىء الامر في ثوب حركة تريد شراء اراضي فلسطين لاقامة المستعمرات الصهيونية ولتاسيس الدولة العنصرية المستقلة ، كان رد الفعل القومي عند العرب (وخاصة عرب آسية ، وعرب مصر) ياخذ اول الامر شكل الحرص على ارض فلسطين وعدم التفريط بها ومقاومة بيعها ، فوقف عرب فلسطين في صيف عام ١٨٩١ اول موقف حاسم ضد بيع الاراضي لليهود وابرق جمع من زعماء القدس الى السلطات العثمانية في اسطنبول يطالبون باصدار « فرمان » يمنع الصهيونيين من التملك في فلسطين لايقاف المخطط الصهيوني الاستعماري للتسلل الى البلاد بالهجرة الى المستعمرات المتناثرة ، بعد ان تدفق المهاجرون برعاية بعض كبار اثرياء اليهود في غرب اوربة . وما ان اتخذ عرب فلسطين هذه الاجراءات حتى هب العرب غير الفلسطينيين المقيمون والمتنفذون في عاصمة السلطنة ، الى مؤازرة اخوانهم ، فضغطوا على السلطان حتى استصدروا قرارا بالمنع . كانت هذه الحادثة ، قبل ثلاثة ارباع القرن تماما ، اول اجراء فلسطيني - عربي مشترك لحماية ارض فلسطين ، وكانت اول تضامن عربي في وجه المخططات الصهيونية التوسعية .

مع الايام ومع نمو الحركة الصهيونية وانتظامها في المؤتمرات السنوية ، سار عرب الاقطار المحيطة بفلسطين في خط مواز لسير عرب فلسطين في نضالهم ضد بيع الاراضي للصهيونيين ، ففي شرق الاردن تنبه السكان الى محاولة الصهيونيين التسلل الى قطرهم (الذي اعتبره الصهيونيون جزءا لا يتجزأ من « ارض الموعد » وطالبوا به مطالبتهم بفلسطين علنا) وطردوا جمعا من الصهيونيين ذهبوا الى جوار جرش واقاموا اول مستعمرة لهم في ذلك القطر ، وهدموا مساكنهم واتلفوا مزروعاتهم وقتلوا مواشيهم وحرموا عليهم العودة .

حصل ذلك في ١٨٩٨ ، وفي ربيع تلك السنة بدات الصحف الوطنية في مصر تنبه الى اخطار مقررات مؤتمر بال حالما بدأت انباء المؤتمر تصل الى القاهرة ، واخذت تنشر المقالات ضد المؤامرة وتفضح مخططاتها ، وكان رائدها الصحافي اللبناني الاصل محمد رشيد رضا في جريدته « المنار » وفشل الصهيونيون ، بعد سنوات ، في اقناع السلطات المصرية والسلطات البريطانية الحاكمة في مصر بالسماح لهم بتاسيس دويلة يهودية في شبه جزيرة سيناء تكون حاجزا بين السلطنة العثمانية وبين خديوية مصر ، وتقوم حول عدد من المستعمرات يبنيها الصهيونيون في شبه الجزيرة وفي جنوب فلسطين على اراض يشترونها من السلطنة ومن ملاكها العرب بمساع من بريطانيا ، وقد قام هرتزل نفسه بجهد كبير لتحقيق غرضه ، وزار مصر خصيصا في عام ١٩٠٢ .

ومثل محمد رشيد رضا في مصر ، قام صحافي لبناني الاصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آخر ، نجيب نصار ، بتزعم الحملة في صحف فلسطين ضد التسلل الصهيوني في اعقاب ظهور الدستور العثماني في عام ١٩٠٨ وقد كرس جريدته « الكرمل » الحيفاوية لهذا الغرض . وقاد احد ابناء سورية ، شكري العسلي ، الحملة العربية في البرلمان العثماني في ١٩١١ ضد البيع ، وسانده عدد كبير من النواب العرب ، ومعظمهم من غير الفلسطينيين ، حتى اجبروا السلطات على اصدار منع جديد لبيع الاراضي ، وحينما أفلح التآمر الصهيوني باغراء احد الملاك الكبار الغائبين ، من العرب غير الفلسطينيين ، على بيع قسم كبير من ممتلكاته الواسعة في شمال فلسطين ، انصبت الغضبة الشعبية عليه من كل الجهات ، من فلسطين ومن الاقطار العربية الاخرى التي كانت لا تزال تقع كلها تحت الحكم العثماني .

تطورت القضية الفلسطينية تطورات اساسية من حيث نوعية الاطماع الصهيونية والاستعمارية وفي علاقة القضية بالمصالح الاستعمارية وبالاوضاع الدولية عندما نشبت الحرب العالمية الاولى ودخلت تركيا الحرب الى جانب دولتي « الوسط » ودخل الانجليز الجانب الاسيوي من منطقة الشرق الاوسط اكثر من أي وقت مضى ، وتحول الخطر من شكل بسيط نسبيا ومتدرج ببطء ومقنع (محاولة شراء اراضي البلاد لتأسيس مستعمرات يسكنها المهاجرون الجدد) الى شكل اكثر تعقيدا وخطورة : محاولة الاستعمار الاوروبي (البريطاني خاصة) ان يقيم لنفسه قواعد ثابتة تدين له بالولاء التام في انحاء متعددة من السلطنة، مع محاولة الصهيونيين ان يحصلوا على تعهد دولي بان يشتركوا في وراثة السلطنة العثمانية عند سقوطها ، في فلسطين كلها على اقل تقدير ليقيموا لانفسهم فيها نواة « وطنهم القومي » ، وقد حصل الصهيونيون على وعد من هذا النوع بالفعل في خريف ١٩١٧ (وعد بلفور الشهير) ، وكان البريطانيون قبل ذلك بعامين ونصف العام قد تفاهموا مع فرنسة سرا على تقسيم القسم العربي من السلطنة العثمانية في آسية خارج شبه الجزيرة مناصفة فيما بينهما تقريبا (وهو ما يعرف باتفاقية سايكس بيكو ، مايو ١٩١٥) .

جرى هذا التآمر وهذا التنسيق بين المصالح الاستعمارية والاطماع الصهيونية في البلاد العربية عامة وفي فلسطين خاصة في معزل تام عن الشعب المعني بالامر وصاحب الحق الاول والاخير بتقرير مصيره ، وهو حق مشروع منذ الازل ، ثم اكد عليه في ذلك الوقت بالذات برنامج الرئيس الاميركي ولسن المعروف بالنقاط الاربع عشرة».

٤ ـ عمران احمد ابو حجله

ولد « عمران » في قرية « دير استيا » (محافظة نابلس) عام ١٩٢٨ واكمل دراسته الابتدائية في مدرسة قريته والاعدادية في مدرسة الفرندز بمدينة رام الله ونال الشهادة الثانوية من « الكلية الرشيدية» بالقدس عام ١٩٤٨ ، وفي هذا العام ، عام المأساة العربية في فلسطين تطوع في الجيش العراقي الزاحف على فلسطين لتحريرها وبلغ فيه رتبة ملازم . وعلى اثر اصابته برصاصة اصابت رجله التحق بالجيش الاردني برتبة ملازم وظل يعمل في قرية « عانين » « بقضاء جنين » الى ان استقال من الخدمة العسكرية عام ١٩٤٩ وعين مدرسا للغة الانكليزية في المدرسة الفاضلية بطولكرم .

وفي عام ١٩٥٠ قصد السعودية وعين في الظهران مدرسا للغة العربية لغير الطلاب العرب وفي عام ١٩٥٣ عاد الى فلسطين وعين مدرسا للتاريخ في المدرسة السعدية ببلدة قلقيلية ثم نقل الى «الفاضلية بطولكرم » وظل يعمل في حقل التدريس حتى عام ١٩٥٧ ، وفي هذا العام نزح الى دمشق وعين معلما للغة الانكليزية في صافيتا (اللاذقية) ، وفي عام ١٩٥٩ القى عصا ترحاله في بيروت وزاول تعليم الانكليزية في طائفة من المدارس ثم التحق ب « دار العلم للملايين » واضطلع فيها باعباء الترجمة وتدقيق اصول المؤلفات ، وتولى الاشراف على سلسلة « الناجحون » في « دار العلم للملايين » وانتج لحسابها كتابي « شيكسبير » و « هيلين كيلر » وتولى سكرتيرية مجلة « العلوم » لعامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ونشر فيها المقالات المترجمة وقسما من « اخبار العلوم » واشترك في تحرير القسم الانكليزي من مجلة « الرسالة » البيروتية طوال سني ١٩٦٢ ـ ١٩٦٦ .

واغتنم وجوده في بيروت فحصل عام ١٩٦٧ على ليسانس تاريخ من جامعة بيروت العربية وعلى دبلوم في التربية عام ١٩٦٨ من الجامعة نفسها والتحق بكلية الآداب في الجامعة اللبنانية وشرع في اعداد اطروحة لنيل الدكتوراه بعنوان « الايوبيون في اليمن » .

من آثاره القلمية : عرف في فلسطين باسمه الكامل « عمران احمد أبو حجله » وبعد النكبة الاولى واقامته في بيروت اختار من اسمه الاول اسما جديدا يزين به مؤلفاته ومقالاته والاسم الجديد هو « عمر الديراوي » وقد اقتبس « عمر » من « عمران » و « الديراوي » من « دير استيا » مسقط رأسه ، والمؤلفات المطبوعة التي تحمل الاسم الجديد هي :

١ ـ امرأتان لالبرتو مورافيا ـ ١٩٦١ ، ١٩٦٥
٢ ـ أرض الانبياء لعبد الله فيلبي ـ ١٩٦٢ ، ١٩٦٥
٣ ـ تاريخ نجد لعبد الله فيلبي ـ ١٩٦٤ ، ١٩٦٨
٤ ـ الرأسمالية المعاصرة لجون ريتشي ـ ١٩٦٤
٥ ـ كنوز مدينة بلقيس لوندل فيلبس ـ ١٩٦٣
٦ ـ روح الاسلام لسيد امير علي ـ ١٩٦٣ ، ١٩٧٠
٧ ـ فلسطين جريمة ودفاع لارنولد توينبي ـ ١٩٦٢ ، ١٩٦٦
٨ ـ سبار تاكوس لهوارد فاست ـ ١٩٦٧
٩ ـ الحرب العالمية الاولى (من تاليف المترجم له) ١٩٦٢ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٦ ، ١٩٧٠
١٠ ـ في قلب افغانستان ـ ١٩٦١
١١ ـ شمال نجد ـ تاليف موزيل
١٢ ـ معنى الماركسية ـ تاليف د. ه. كول
١٣ ـ معضلة الحرب ومصير الانسانية ـ بيروت ، دار المكشوف ١٩٦٢
١٤ ـ مرتفعات وذرنج ـ تاليف اميلي برونتي ١٩٦٥
١٥ ـ الارض الطيبة لبيرل بك (بالاشتراك مع الاستاذ منير بعلبكي) ١٩٦٤
١٦ ـ المسلمون الزنوج في اميركا ـ تاليف اريك لنكولن ـ ١٩٦٢
١٧ ـ السنوسيون في ليبيا لايفانز برتشارد ـ ١٩٦٧
١٨ ـ معارك طرابلس ـ لجيلين تكر ـ ١٩٦٥
١٩ ـ عشر سنوات في بلاط طرابلس ـ لريتشارد توللي ـ ١٩٦٤
٢٠ ـ الانكليزية من غير معلم (ج١) ١٩٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٠
٢١ ـ الانكليزية من غير معلم (ج٢) ١٩٦٣ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٧
٢٢ ـ الدون الهادىء ـ تأليف ميخائيل شولوخوف ١٩٦٨

نموذج من نثره : « ما اعمق الغور الذي نفذت اليه الحرب العالمية الاولى ولا تزال في ضمير الانسان الحديث . لقد اعادت تشكيل النسق السياسي الذي كانت عليه اوروبا وقسم كبير من آسيا ، وهو بلادنا العربية ، من قبل . ولا تزال ذكرياتها الاليمة تنتصب واقفة في كل قرية ومدينة من الدول التي جرى فيها القتال ، من ضفاف نهر « المارن » الى كوت العمارة ، وسكة حديد « الحجاز » ، حتى بعد ان مضى على انصرامها نصف قرن . ان ابناء الجيل الماضي لا يزالون يتذكرون آلامها القاسية ومرارتها المفجعة ، وجوع « سفر برلك » ومآسيه التي لم تتلاش من وعيهم بعد .

وكل حدث تاريخي او فترة عصيبة يزود الناس بكتب جديدة ، وهذا ما دفعني لان ابحث الحرب العالمية الاولى ، حيث وددت ان يقرأها الناس في صور ، وباستشراف تاريخي حي . لذلك عمدت الى غربلة ما وقع بين يدي من مصادر وزودته بما تسنى لي من صور ،

راجيا ان القي ظلا ولو محدودا ، على هذه الحرب الفاجعة .

لقد حاولت ان اشرح السبب الذي نشب من جرائه ذلك الصراع المرير ، وقصدت بخاصة ان اثبت في اذهان القراء الكرام ذلك التناقض الظاهري .. في ان الرجال الذين انغمسوا في الحرب كانــوا مندفعين بحماس الى اصطلاء نارها بالمشاركة فيها ، مع انهم يكرهونها مــن اعماقهم .

كانت كل دولة تحارب في الظاهر للدفاع عــن نفسها وحمايــة استقلالها ، لكنها تطمع ايضا ، وفي نفس الوقت ، الـى مغانم يثيبها عليها نشاطها الحربي !

اما ساسة اوروبا و « الباب العالي » فقد طغت عليهم الحوادث واذهلهم عظمها . وحتى القادة العسكريون من « فون مولتكه » مرورا ب « كتشنر » و « جوفر » حتى « جمال باشا » لم يتماسكوا بدورهم، اذ اطار واقع الحرب صوابهم ، وافشل ما كانوا يرسمونه لانفسهم من مفاهيم ومضامين .. كانوا يعتقدون ان « الكم » مــن حيث السوق والتعبئة هو السر الذي يكمن في ثناياه النصر . وطبقوا ذلك على اوسع لا يزالون يذكرون ان السنوات التي قضاها في حيفا كانت مـن اقسى استشاروها طفقت تتعدى نطاق قدرتهم في السيطرة عليهـا وتوجيهها . وحينئذ صدق المثل : « وانقلب السحر على الساحر » .

وقتذاك تعثر الساسة والجنرالات عاجزين قبالة التنين الــذي جهزوه . فبدوا اشبه ما يكونون الى بحارة في سفينة دفتها مخلوعــة ولا لوحة للقيادة فيها ، وتتقاذفهم امواج عاصفة صاخبة ، فلا يدرون اي سبيل يسلكون . كان الفنار معدوما والبحر هائجـا ، فمن هــو « نوح » الجديد ؟

انه الجندي المجهول ، ذلك المخلوق الذي مزقته انياب الحرب ، فتلاشى في واقع الحياة ولم يخلف الا خطوطا سوداء في لوائح الضحايا، وارقاما تقل او تكثر في خسائر الحرب . لكني احاول الان بعثه مــن جديد ، وعن طريق الصور هذه المرة .

لقد كانت الحرب على الدوام تدفع الـــى الاختراع . ولست بمعرض الدفاع عن ان عنصر الشر هــو الذي يتغلب في المخترعــات النابهة . ولكني اقصر اشارتي فقط على القول : ان فــن التصوير الفوتوغرافي جاء احد المخترعات الخيرة فيها . فقد تخطى هــذا الفن دور الطفولة اثناء « حرب القرم » . ثم عقبت ، « حــرب البوير » في جنوب افريقيا ، فتم تاريخها حية بفضل « الكاميرا » . وكلتا الحربين طواهما سجل التاريخ منذ زمن ولم تخلفا اثرا يذكر . امــا الحرب العالمية الاولى فما زالت حديثة العهد نوعا كما ان اثارها لا زالت حتى الان . وفي ايامها كانت « الكاميرا » قد ترعرعت وصلب عودها ، فغدت قادرة على تصوير دقائق حياة كل رجل تقريبا . انهــا تعرض صور الساسة والجنرالات في كل مكان ، في العرض العسكري ، وفي الحياة المدنية . كما تبين آلات الدمار التي استعملها قادة الجيوش بعــد ان زودهم بها ساسة بلدانهم . والعدسة تنتقل من موقع الى موقع : مـن خنادق الجبهة الامامية حيث المدافع تجرها البغال ، الـــى ورشات مصانع الذخيرة حيث ينصب عرق العمال المخدوعين في المحافظة علــى شرف ملك حقير او قيصر طاغية او سلطان مافون . ومن الارياف المخربة في « الصرب » والضيع المهجورة في « بلجيكا » ، الى صفوف المواطنين امام مراكز توزيع المؤن بالبطاقة في « باريس » وصرعى الجوع في «غزة» والام التي اكلت لحم بنتها في « جونيه » .

هنا تبدو الطاقات البشرية التــي اهدرت ، والرجال الذيــن قاتلوا ، وقاسوا مصائب الحرب ، وتشظى الرصاص في اجسادهم ، ثم ماتوا وهيل عليهم التراب او غرزت على بقايا عظامهم النصب ، حين لم يعثر رفاقهم على جثث يدفنونها . ان العدسة رفيقة هؤلاء ، تفضح خفايا اوضاعهم الفظيعة ، وتروى معاني النكبة والاسى في ملامح وجوههم وهم يختضرون . انها خرساء ، لكنها تنطق بحشرجات نفوسهم قبل ان يلفظوا انفاسهم الاخيرة وسط الوحل في الخنادق . فشكرا « للكاميرا» ومن احسن الافادة منها » .

بفضلها يمكننا ان نعيش الحرب العالمية الاولى من جديد ، لا ان نقرأ عنها فحسب . ذلك ان الصورة تترجم الى كل لغة وتنطق دون حروف .

والواقع انني استعنت اول الامر بعدد وافر من الصور ، بيد اني رايت الافضل ان اقوم بعملية الانتقاء ، وما اعسرها من عملية !

كان هناك بعض الصور التي نشرت من قبــل مرات ولكنها ظلت تفرض نفسها ، فآثرت ضمها الى هذه المجموعة . وكان هناك صور لم تنشر الا مرة واحدة او اثنتين فاضطررت الــى ايراد اوفاها معنى واشملها هدفا .

ولم اجهل ان الكتاب « تاريخا » للحرب ، بقدر ما كان همي ان اعرضها عرضا . ولهذا ، تجاوزت الخوض في اسباب تلــك الحــرب ونتائجها . ولم اعمد الى التفصيل في شرح المواقع الحربية بل اقتصرت على ايضاح الخطط العامة التي تبناها القادة العسكريون فيها . ذلك ان « نفسية » الحرب ، اذا جاز التعبير ، هــي التي اهدف الــى تصويرها من هذا العرض . اما « دراسة الحرب » فان لهــا كليات عسكرية ومؤلفات معينة يستطيع ان يرجع اليها من يهمه الامر .

ولقد حاولت ان اجد في الحرب عبرة .. آمــلا ان يتعظ بهـا الجيل الجديد بعد ان اكتوى الجيل السابق بنــار حربين عالميتين ، ليست « جريمة ناجازاكي » الا شاهدا على « وحشية » الثانية منهما.

ان الحرب لعنة ، واشد منها نكرا ان ندعو لهــا .. اما السلام فنعمة وبركة ، فمــا انبل الداعين اليــه ، والسائرين علــى درب « يسوع » !! »

عمان ــ الاردن

البدوي الملثم

رحلة

أتيت اليك يا امرأة ..
تكاد تموت في لغتي
اتيت اليك ..
لا الطرقات .. اغوتني
ولا الشرفات .. نادتني
فابقيت الذي في داخلي
وطنا .. تحج اليه مغفرتي

اعــود ،
فتبدأ الاحزان دورتها .. الى صوتي
وتحتقنين يا امرأة بلا لون
فاجفل منك اهرب تاركا صمتي
لابدأ رحلتي الاخرى .. الى وطني

حلب

عصام ترشحاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حب ولا حب

•

صفاء الحيدري

•

بغداد



كان حبي
كل ذنبي
كان من قلب لعينين ،
ومن عين لقلب
كان شيئا لم أجده
في أقاصيص وكتب
لم يكن يبدو كصعب
كان أغرى من ليال
ذات اقمار
وشهب

كان حبي
كان شيئا قاسيا
مرا ، عذابا ، كان صعبا
كان لي دربا ،
وكم ضيع درب الحب قلبا
كان سهلا .
فأستحال المر عذبا
دربها كان قصيرا
تركت فيه حكايات واقمارا وشهبا
نغما عذبا ، وانداء ، شذى
شيئين
عشاقا ، وحبا
فالتقينا
وافترقنا
انا دام ، وهي غضبى

حبنا كان سريعا ، وقصيرا
كان ذنبا
حب عصر لم يعد يأكل حبا
كان لا حبا
وحبا
أعود الان لاوجه
بدق الباب .. حولي ..
لا صدى .. ينهد يومىء لي

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

هرعت « خديجة » نحو التليفون ، ورفعت السماع ، بيد مرتعشة ، بينما اخذت تدير القرص الابيض باليد الاخرى . كانت في حالة من الاضطراب الشديد ، اذ انها تركت ابنها ، يتلوى الما ، ولم تدر ما تصنع له ، لا سيما وانها **لم تشاهد ، من** قبل ، حالات مثل حالة ابنها العزيز .. ابنها الذي انتظرت مجيئه الى الدنيا ، بشوق كبير ، **وبأمل** اكبر .

وفي الوقت الذي الصقت السماع ، على اذنها ، كانت الاسلاك تنقل رنين التليفون ، كانت تسمع دقاته بوضوح ، كانها مطارق حديدية ، اتية من اغوار بعيدة « رن . رن . رن » ، ولكنها لم تتلق ردا .. لقد فشلت محاولة الاتصال مع زوجها .. عليها ان تدير القرص كرة ثانية .. لعل وعسى !

ومن الداخل كانت تنبعث اصوات بكاء ، وخوف ، والم . وجاءها صوت أم زوجها :

– الم تتصلي به بعد ؟

التفتت اليها ، وهي لا تكاد تعي شيئا .

– بلى . لكنه يرن فقط ..

– ان الطفل يكاد يموت . بهذا قالت أم زوجها .. واعقبت ، لا بد ان نخرجه حالا من البيت ، ثم نتصل به بعد ذلك .

– حسنا .. يا عمتاه ! كما تريدين .. ورفعت يدها عن التليفون الهامد واردفت ، سأتي بسيارة من الطريق ، بينما تكوني في انتظاري ، امام باب البيت .

ونزلت مهرولة ، وهي كالمجنونة ، لا تدري اين تأخذها قدماها . ان وليدها الوحيد ، يعاني من الالم المبرح .. الالم الذي سوف يقضي عليه ، ان لم تسارع بأخذه الى المستشفى .. وهتفت من اعماقها بلوعة « احفظه يا رب .. احفظه لي .. دعه لي ، لا تأخذه مني ، لا تأخذه ! » .

– انت ايها السائق .. صرخت فيه ، **بينما ارتفعت يدها في الهواء**، مشيرة اليه ان يقف .. كم اجرتك الى المستشفى الجمهوري ؟.. انه ليس ببعيد من هنا ..

– ستة دراهم !

– ولكنها كثيرة ! انها مئتا فلس! أتقبل بها ؟

ونظر اليها السائق بثبات . كان يراها مرتجفة ، مصفرة الوجه ، يبدو الاضطراب في حركاتها . كان ذكيا ..

– هيا يا سيدتي .. اقبل بمئتي فلس !

وفي الطريق ، كانت تستحثه بان يسرع قليلا ، وتارة اخرى بان ينتبه امامه ..

– ما بك يا سيدتي ؟ قال

ظمأ لم يطفأ

بقلم علي حسن

السائق الشاب ذلك .

– لقد شرب نفطا أبيض !..

قالت المراة .. ثم اعقبت ، بينما ام زوجها تحضن وليدها ، والدمعات البيضاء الباكية ، تنساب على وجنتيها .. لقد توهم به ، حسبه ماءا . كان عطشا ، فشربه .. وانا .. انا المتوهة ، لم انتبه له .. ولولا رائحة النفط من فمه ، لما عرفت ابدا .. ابدا .

وكان صوت أم زوجها ، يأتي



اليها باكيا ، حزينا .

– ابني .. ابني . لماذا فعلت هذا ..؟ لماذا ؟

وقال السائق ، وهو ينظر الى الطفل الغائب عن الوعي .

– مسكين .. انه جميل ! لا يستحق هذا .

ونقدته المراة اجرته ، ولكنه لم يشأ ان يتركهم ، قال بشهامة نادرة :

– سوف احمله انا . انتما لن تقدرا على حمله ..

وتناول الطفل من بين احضان جدته وقال ، فيما يشبه الامر :

– اتبعاني !

وراءت المراتان نفسيهما ، وهما تتبعان الرجل السائق . كان بطوله، وبقامته المربوعة ، وبخطواته القوية، الثابتة .. يوحي للمراة ان تنقاد له .

ووقف السائق الشاب ، امام الطبيب .

– لقد شرب نفطا يا سيدي .. انه طفل .. طفل صغير كالنحلة !

– منذ متى كان ذلك ؟ قال الطبيب متسائلا .

لم يستطع الرجل السائق ، ان يقول شيئا . لم يكن يعرف الوقت، الذي مضى على هذا الطفل عندما شرب النفط . فالتفت الى الخلف حيث كانت المراتان ، لا تزالان تغذان السير وراءه . انتظر هنيهة، ريثما تصلان اليه .. ولما اقتربتا ، اشار لهما :

– متى شرب ؟

– منذ نصف ساعة . قالت المراة الام ذلك ، وهي تنتفض .

والتفت السائق ، نحو الطبيب :

– قبل نصف ساعة يا سيدي .

نظر الطبيب اليه .

– ما اسمه ؟

التفت السائق مستنجدا :

– احمد .. قالت المراة الام من خلفه .

ووصل صوتها الى الطبيب ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخيال الملهم

خيالك فتنتي وملاذ روحي — واشواقي بليلي والنهار
ووجهك يا منى قلبي سميري — وفردوسي واحلام انتصاري
فيا بدرا تجلى عبقريا — بدنيا الحب في احلى مدار
أبقى اشتكي الحرمان وحدي — وانت معي ولا تطفين ناري
أسمراء العراق .. ومن اليها — أزف اللحن في اشهى قرار
رجائي في منالك لا يبارى — فهلا عودة تطفي أوادي
لانت مدى الحياة نعيم قلبي — فدومي عند وعدك لا تماري

بغداد — عبد الخالق فريد

الذي نظر الى الرجل الواقف امامه .

– وانت ، ماذا تكون له ؟ الست اباه ؟

ارتبك السائق الشاب . لم يدر ما يقول . وتلعثم الكلام في فمه ، فخرج متقطعا .

– أ . انا .. انا .. ل .. لست .. لست اباه !

– ومن تكون اذن ؟

– انا .. لست سوى السائق ، الذي جلبه الى هنا .

قال ذلك بهدوء نسبي .. بينما الارتباك ، لا زال واضحا عليه ..

– ضعه على السرير . قال الطبيب آمرا .. ثم نادى الممرض الذي يقف قريبا منه ، وقال ، خذه الى الخارج ، واغسلوا معدته .. دعوه يقذف بكل ما في جوفه ..

وتناوله الممرض بين يديه ، وتبعه ثلاثتهم . وقالت الام :

– ماذا سيفعلون به ؟

– سوف يغسلون معدته . اجاب السائق الشاب .

وعندما وصلوا ، التفت الممرض نحوهم ، وقال :

– لا احد يأتي ورائي . انتظروا فقط .. هنا .

وغاب عن نظرهم . احتوته الدهاليز الطويلة .. بينما تابعته ست عيون .. اربع عيون انثوية ، واثنتان ذكرية !

وتذكرت « خديجة » فجأة انه يجب ان تتصل بزوجها ، لتخبره بكل ما حصل لابنهما .. قالت متسائلة :

– الا يوجد تليفون هنا ؟

– لا ادري . قال السائق الشاب .. واعقب ، سوف ارى .

وبعد لحظات قضتها « خديجة » وام زوجها بالقلق ، وبالعذاب ، وبالخوف من المجهول ...

– انها تليفونات خاصة ، للاستعمال الداخلي في المستشفى فقط !

واسقط في يد « خديجة » . انها لن تستطيع ان تتصل بزوجها ، ترى ماذا سيقول ، عندما يعلم ، ما حصل لابنه ، ولم تخبره ؟ .. لا بد انه سوف يرغي ، ويزبد ، ويلعن ، ويغضب ! ولكنها ستقول له انها اتصلت به ، لكن دون جدوى ...

وخرج الممرض . كان قد غاب عنهم ، قرابة عشرين دقيقة . وتعلقت عيونهم به .. بقلق .. بخوف .. وبرجاء .

– كل شيء على ما يرام ! .. قذف بعبارته المعتادة ، مطمئنا اياهم .. واستطرد ، لكنه لن يخرج الآن . ان حرارته في ارتفاع ، ولا بد ان يوضع بين قوالب الثلج ! لقد صحا الآن من اغماءته .. يمكنك يا سيدتي .. واشار الى الام ، ان تريه .. وانت ايضا يا سيدي .

وسار امامهم ، حيث يرقد الطفل .. الطفل الذي لاقت كل المتاعب من اجل ان يجيء الى الدنيا .. لقد تحملت كلام الاهل ، والناس .. وعندما جاء ، طرد كل كلامهم .. وها هو الآن ، يحاول ان يرحل ..

– كلا . كلا . سوف تبقى لي .

ارتمت عليه الام بلهفة ، وهي تصرخ .. واخذت تمرغ وجهه ، بشفتيها . كانت شفتاه جافتين ، وريقه ناشفا ، بينما احست باكتواء ، في وجهها ، وشفتيها ، ويديها .. كانت الحرارة منبعثة من الجسد الصغير الذي حاول ان يضم امه اليه .. ان يرفع شفتيه نحوها ، ليقبلها .. قبلة الدفء ، والحب .

وكانت عيناه تجوبان وجهها ، وخرجت الكلمات من بين شفتيه :

– لم اكن ادري يا اماه ! .. لم اكن ادري .

– لا بأس يا حبيبي لا بأس !

وغمرته بدموعها ، وقبلاتها ..

– فقط . احفظه يا رب !

وخرجت « خديجة » ، والسائق الشاب ، من عند الطفل .. وبقيت تنتظر ابنها .. واللحظات تمر ، والدقائق تسير مسرعة .. والنهار يكاد ينتصف . قالت « خديجة » مخاطبة المراة الاخرى :

– اذهبي يا عمتي . سوف ابقى انا هنا ، حتى يخرج احمد .. ثم استطردت .. ولكي يجد ابو احمد احدا في البيت .. اذهبي ..

نظرت ام الزوج اليها ، وكانت دمعة حارة تنساب على خديها الضامرين .. وتمتمت ..

– ليحفظه الله .. ليحفظ له صباه !

بعقوبة – العراق — علي حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نظرات جديدة في تاريخ الادب

تاليف احمد اللواساني استاذ الفارسية المساعد في الجامعة اللبنانية – ٤٣٢ صفحة – حجم كبير (صدر في بيروت)

لا يزال الكثير الكثير من القضايا التاريخية والحوادث المسطورة في بطون التاريخ بحاجة الى تحقيق علمي دقيق واعادة نظر في حقيقتها من حيث الصحة والواقع ، وعلى رغم ما اوتي هذا العصر من وسائل ومقاييس لغربلة الوقائع واستخلاص الحقائق فان عدد الذين يملكون هذه المقدرة ، والقابلية – في تقليب صفحات التاريخ بروح علمية بحتة ، مجردة عن الاهواء والنزعات التي طالما اساءت الى الحقيقة – قليل وقليل جدا ، وكان المنتظر ان تكون كل اطروحة تاريخية ادبية يتقدم بها طلاب الدكتوراه والماجستير الى الجامعات مقتصرة على استخلاص حقيقة غفل عنها المتتبعون عن عمد او سهو بداعي الانجراف في تيارات الاهواء السياسية او الدينية او المذهبية او الشخصية ولم يسلم منها الا النزر القليل الذي استطاع ان يثير الدهشة في تحقيقه للحوادث التاريخية والادبية كدراسة العلامة المحقق المرحوم ماسينيون للحلاج ، ودراسة العلامة الكبير المرحوم مصطفى جواد لمعالم بغداد التي غيرت آراء الكثير ممن كانوا يتباينون على امور ليس لها من الصحة نصيب غير ورودها في كتب التاريخ عن غير روية ، وكدراسة العلامة السيد مرتضى العسكري لشخصية عبد الله بن سبأ التي اثبت انها شخصية وهمية لا اصل لها الا في ذهن مبدعها سيف بن عمر ، وغير ذلك من القضايا التي لم تستطع ان تستوعب الا القليل من الحقائق التي ترفع الظلم عن المظلومين ، وتعيد الحق الى نصابه ، وتنفض غبار النسيان عن اشخاص اهملهم التاريخ واغتصب مواهبهم فنسبها الى الاخرين ، واعار محاسنهم لمن لا يستحقها من ارباب الصولة بداعي الافادة والمنفعة الشخصية .

وكم هو جميل ان نرى استاذا جليلا ، ومحققا فاضلا ، وباحثا مدققا ، كالاستاذ احمد اللواساني احد اساتذة الجامعة اللبنانية ببيروت ينبري لمواضيع من تاريخ الادب بروح علمية ، وخلق رفيع ، وملكة صافية من كل تحيز شأن العلماء الذين لا يهمهم الا الحقيقة ، الحقيقة التي لا تشوبها نزعة من نزعات الاهواء ، فيتقدم الينا ببحوث جديدة تسندها البراهين ، ويعتمدها المنطق الا وهي كتابه الذي صدر منذ ايام باسم « نظرات جديدة في تاريخ الادب » .

والنظرات الجديدة هذه تتناول حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم والاسلام والتحقيق فيما ذهب اليه التاريخ في وصفه بالجبن الذي كان يدعوه الى التخلف عن مشاركة المسلمين في حروبهم ، وفي هذا الاستعراض الذي يثبت المؤلف بطلان هذه الشهرة، شهرة اتهام حسان بالجبن ويسوق المؤلف القواعد العامة التي تتم بها دراسة الحقائق واستكشافها فيبدع فيما يضع من اساليب وطرق لغربلة الروايات واستخلاص الحقائق منها حتى لا يترك للقارىء مجالا للشك في ان ما نسب الى حسان بن ثابت من الجبن لم يكن الا بداعي النكاية به ، واذا صح تاخر حسان عن اللحاق بالمجاهدين فلم يكن ذلك بسبب الجبن لانه كان (اكحل) لا يطيق استعمال السيف .

والنظرات الجديدة في تاريخ الادب بعد هذا تتناول بعض مؤلفات ابن المقفع وعلى الاخص الادب الكبير ، والادب الصغير ، ولاول مرة في التاريخ يثبت المؤلف عن طريق العرض والشواهد ان ليس لابن المقفع غير كتاب واحد باسم « الاداب » وان كتاب (الادب) الصغير المنسوب له ليس لابن المقفع فيه يد بل ولا حرف ، وان صفة (الكبير) التي رافقت اسم (الادب) لابن المقفع انما هي من وضع ابن النديم صاحب « الفهرست » على ما يذهب اليه المؤلف في استنتاجه المبني على الشواهد التي يسوقها دليلا على ان كتاب « الادب الكبير » انما كان كتابا باسم « الاداب » .

ومن هذه النظرات النافذة العميقة يتوصل المؤلف الى البحث الشائك الذي اوقع الكثير من المؤرخين في اخطاء غير مغتفرة عن (الشعوبية) واتخاذها سلاحا لشن الغارة على الكثير ممن ليس لهم بالشعوبية صلة او بعض صلة .

ولاول مرة يتحسس القارىء في هذا البحث بعمق هذا المؤلف وملكته في عالم التتبع والتحقيق اكثر مما سلف من المواضيع المتقدمة في هذا الكتاب ، وذلك لاهمية هذا الموضوع وما اخذ من افكار الناس واهتمامهم سواء في العصور السابقة من العصور العباسية او العصور الاخيرة التي دفعت بالكثير الى تحبير بعض المقالات وتاليف بعض الكتب عن الشعوبية دون تمحيص لماهية الشعوبية وتطبيقها ومعرفة الشعوبيين وتمييزهم عن غير الشعوبيين ، ولقد اجاد المؤلف كل الاجادة بل فوق الاجادة حين عرض لظهور الشعوبية ومبعثها ، وتجاوز الحدود في نسبتها لغير من يعتنقها بسبب اخطاء التاريخ والمؤرخين ومن أخذ بارائهم من دون روية او تمحيص .

واذا كان لا بد لي ان اشير الى شيء هنا فهو الى نسبة الجموع التي ذهب المؤلف الى انها نسبة غير عربية استخلص منها الاحتمال ، الى ان تسمية (الشعوبية) ربما كانت من عمل اليهود دون ادراكهم بان العرب لا ينسبون الى الجموع الا ما تبانوا عليه كالانصاري وغيره ، وفاته ان الكوفيين يقولون بالنسبة للجموع وهم على خلاف مع البصريين ، وفي القرن الثاني الهجري كانت معركة (النحو) بين البصريين والكوفيين قد قامت على قدم وساق حتى تغلب نحو البصرة على نحو الكوفة واخذت به اكثرية الامة العربية ومن المتاخرين الذين يستسيغ النسبة للجموع ويأخذ برأي اهل الكوفة كان المرحوم مصطفى جواد ، لذلك فليس الذي ينسب الى الجمع كالشعوبية غير عربي ولا بد ان يكون من اليهود مثلا كما يقول المؤلف ، كذلك استبعد انا ما ذهب اليه المؤلف بان فكرة الشعوبية قد انبعثت من اليهود بقصد نشر البلبلة والفوضى نظير فعل اليهود فيما بثوه من افكار وروايات وما ادخلوا في الاسلام من اساطير ارادوا بها تضليل المسلمين وكل هذا كان صحيحا ولكن ابتداعهم للشعوبية لا يقوم دليل عليه .

وبعد فقد كان الاستاذ اللواساني موفقا كل التوفيق ، في مناقشة التاريخ في هذه المواضيع التي تطرق اليها في كتابه « نظرات جديدة في تاريخ الادب » تلك المناقشة الهادئة التي تنم عن الروح العلمية العالية ، وللانصاف اشير هنا الى ان الشعوبية كانت حبيت لي ان اكتب عنها بعض ما استلفت نظري في تاريخها وقد رحت أدون ما يشبه رؤوس الاقلام لاستعين بها عندما تسنح لي الفرصة لكتابة دراسة جديدة ، ومنذ سنتين وانا اجمع شيئا من الشوارد والادلة ، اما اليوم وبعد قراءتي لهذا البحث في هذا الكتاب تيقنت انني سافشل فشلا ذريعا اذا انا واصلت هذا العمل واخرجت كتابا عن الشعوبية ، ذلك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لان هذا المؤلف قد سد جميع طرق النجاح في وجه امثالي بعد ان اخرج كتابه هذا ، وهي صفة قلما يمتاز بها غير ارباب الملكات من رجال العلم والادب .

ولم يقتصر الكتاب على هذه البحوث وحدها وانما حوى دعوة الى فكرة مبتكرة في عالم الاملاء العربي ، فقد دعا الى ان تكتب الكلمة كما تلفظ ، وذلك بسقوط الالف في واو الجماعة من الفعل كقولك (كتبو وقراو) وامثالهما ، واعادة الالف الى بعض الاسماء التي اسقط الاملاء القديم منها الالف كقولك (اسحق واسمعيل) التي يجب ان تكتب بالالف (اسحاق واسماعيل) كما دعا الى تحويل الالف المقصورة الى الف ثابتة كقولك : (أرا) بدلا من (أرى) وقولك (اسما) بدلا من (اسمى) وهكذا دعا الى مراعاة الحذف والاثبات في الاسماء والافعال الاخرى ما دام هذا الحذف والاثبات لا يغير شيئا من جوهر المعنى فضلا عن تسهيل القراءة العربية للناشئين وللمستشرقين ، وقد كتب كتابه « نظرات جديدة في تاريخ الادب » بهذه الطريقة فكتب اسم هذا (بهاذا) وهؤلاء (بهاؤلاء) واولئك (باولائك) الخ ... وهي دعوة لا اعتقد ان هناك منطقيا لا يتقبلها فقواعد الاملاء ليست تشريعا منزلا من السماء بحيث لا يجوز مسها من قريب او بعيد ، وقد طرأ على الاملاء العربي من التغيير والتبديل يوم كانت الكتابة كوفية ويوم كانت الحروف معجمة ، ويوم اصبحت الحروف منقطة ما يعرفه الجميع وان نظرة الى الوراء تثبت ان الاملاء العربي لم يصل الى هذه الصورة التي نالفها اليوم الا بعد ان دخل عليه شيء كثير من التغيير والتبديل ، وظل يرافق الاملاء العربي من الخطأ ما لا يجوز غض النظر عنه كقولك بسم الله الرحمن الرحيم وكان الاصح ان تكتب (باسم الله الرحمان الرحيم) لان حذف الالف من (اسم الله) تغيير جوهري في المبنى فليس كل ما يلفظ يكتب ، وقد ورد مثل هذا في كتاب الاستاذ اللواساني في كتابته السؤال (بالسآل) صفحة ٢١١ وكتابته : ان لم بـ (الم) صفحة ٨٢ ، وكتابته مؤمنة بـ (مامنة) ص ٢٤٣ وكان المقتضي ان لا تشمل قاعدة (ما يلفظ ـ يكتب) مثل هذه الكلمات التي تتغير وجوه قراآتها ، فضلا عن ضياع اصل البعض منها مثل (الم) المؤلفة من حرفين (ان ـ ولم) كضياع الالف الاصيل من اسم الله حين تقول : (بسم الله) باسقاط الالف .

وبعد فان دعوة الاستاذ اللواساني (ان يكتب ما يلفظ) باستثناءات معينة دعوة صحيحة لا غبار عليها وهي تساعد كثيرا على سرعة قراءة العربية عند الناشئين من ابناء العرب والاجانب وليس على الكتاب الا ان يقبلوا على الاخذ برايه وان يكتبوا بقواعده فقد اضاف بدعوته هذه الى بحوثه المتقدمة في هذا الكتاب افضالا جد كبيرة لا احسب ان احدا سيتجاهل قيمتها العلمية .

انني ابارك للاستاذ اللواساني هذا الفتح في طريقة البحث وهذه الدعوة المبتكرة وارجو له التوفيق من اعماق نفسي عسى ان ياخذ كتابه هذا ما يستحق من التاثير في نفوس قرائه .

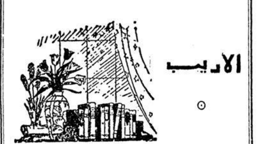
بغداد — جعفر الخليلي

●

قال الراوي

مجموعة قصص ـ تاليف محمود تيمور ـ تقديم الدكتور طه حسين ـ ٣٤٦ صفحة ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر

جوانب من الواقع ومجموعة من المشاكل الاجتماعية وصور فنية تستسيغها النفس وتتقبلها العواطف غير ان العقل لا يفتح لها باب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

☎ الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير أديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المنطق على مصراعيه لانها مما لا يمكن ان يجري مثله في الواقع .

هذه هي المجموعة القصصية « قال الراوي » للقاص الكبير محمود تيمور .

اول ما يلفت الانتباه في « قال الراوي » مقدرة الكاتب القوية على رسم الشخصيات ، والتغلغل بعمق في اغوار النفس البشرية ليتناول منها ادق العواطف التي توجه الانسان في الحياة وتتحكم في رغباته وتصرفاته ، هذه العواطف القوية يأخذها تيمور ويسلط الانوار عليها باسلوبه الساحر فاذا بنا نرى اكثر مما نرى ونحس اكثر مما نحس واذا بنا مكان القاص نعطف ونعجب ونتألم .

قلت ان الكاتب يعرض جوانب من الواقع وهذا يتجلى واضحا في عدة اقاصيص منها اقصوصة : « عم متولي » هذا الرجل الذي عاش هادئا مطمئنا قانعا ، عاش على احلام الماضي واوهام المستقبل ، يبيع بضاعته من الفول السوداني والحلوى صباحا ويأوي الى بيته المتواضع مساء حيث يؤدي فرائضه الدينية ويقلب بين يديه سيفه القديم متذكرا أمجاده الماضية يوم كان يحارب في صفوف المهديين السودانيين، وتنهمر الدموع من عينيه وهو يتخيل عودة المهدي المرتقب حيث سيملأ الدنيا عدلا وسلاما بعد ان ملئت ظلما وفسادا .

ولم تكن قصة بطولته المزعومة واوهامه الخرافية سرا ، بل كانت القصة الشيقة التي تجعل بسطاء الناس يلتفون حوله كل يوم مأخوذين بروعة حديثه . ووصلت أقاصيص عم متولي الخرافية الى النساء فاستدعينه واستمعن اليه واغدقن عليه الاعطيات . ومنذ ذلك التاريخ غدا يزار في بيته للبركة ، وتروى الاساطير عن كراماته الغريبة ، ويستولي الغرور على نفس عم متولي فيصدق ما يقوله عنه الناس وهكذا يحمل سيفه ويطعن الشياطين من حوله .. ولكن الغرور يستفحل حين يخرج بسيفه الى الناس يضربهم به لكي يقضي على الفساد المنتشر في الارض ظانا انه حقا المهدي المنتظر ! وتنتهي القصة حين يقع مغشيا عليه بين ايدي رجال الشرطة .

هذه الاعتقادات السخيفة والاوهام التي تستبد بالبشر مرض من امراضنا الاجتماعية . وهي تستدعي الابتسام ما لم تستفحل اما اذا استفحلت فانها تغدو خطرا يتهدد الافراد والجماعات ، وكأني بالاستاذ تيمور يريد ان يسخر ايضا من تلك الاساطير التي تروى عن الاولياء وعباد الله الصالحين ويستخف بكل ما هو بعيد عن الدين وبعيد عن العقل معا ، فقص علينا قصة ولي من الاولياء ، ممن وثق بهم الناس الثقة كلها وتركنا في لحظة حرجة من القصة لنتم لانفسنا بقية المأساة.

كذلك في حياتنا الاجتماعية كذب ودجل ، وقشور فارغة تستر من ورائها الانانية وانعدام الاخلاق. فالدين والوفاء والحب قوالب للمصالح الشخصية اتقن البشر نسجها واخذوا يتصرفون خلالها بما يلائم منافعهم الذاتية .

هذا ما نصل اليه بعد ان نشاهد الاحتفال الجنائزي الكبير الذي اقيم على روح أحد الوجهاء في اقصوصة « الله يرحمه » .

وفي ريفنا المصري صور طيبة ساذجة تشدنا اليها ، تلك النماذج أحبت الارض وعبدت الطبيعة وتعلقت بالعمل متفانية في سبيل الريف وجعله جنة تجري من تحتها الانهار ، مثل هذه النماذج تحب حيواناتها حبها لابنائها ولا تستطيع ان تستغني عن خشونة العيش . من هذه الصور الطيبة الساذجة صورة كساب افندي في اقصوصة « حنين » . هذا الفلاح القوي المفتول الساعدين ألم به مرض جعل ابنه الطبيب يأخذه الى المدينة ويحرص الحرص كله على ان يستبقيه عنده ينعم بالراحة والرفاهية ، ولكن الرجل الذي أحب الريف وأحب الحيوانات وألف مشاهد الطبيعة لم يستطع البقاء في بيت ابنه بعد ان شفي من مرضه وهكذا فر خلسة عائدا الى داره الكبيرة واعزائه الفلاحين في القرية .

هناك اذا ، كما قلت ، جوانب من الواقع اتقن تيمور رسمها وتصويرها . ولكنه لا يحافظ على الواقعية دائما . اذ كثيرا ما يعمد الى المبالغات الكريكاتورية في تصوير النزعات البشرية كما فعل في اقصوصة : « الرجل ذو الساق الخشبية » حيث نرى الانانية المفرطة في شخصية المعلم عوف والايثار البعيد عن المعقول في شخصية الصانع عبد العزيز الذي ضحى بساقيه لكي يطفيء نار الحقد في نفس معلمه الكسيح ! ونتساءل : كيف تنشأ الغيرية في احضان الانانية وما معنى ان يبتر انسان ساقه من اجل كبح جماح الغيرة لنفسية شريرة ، ثم ما الذي يدفع الصانع الى هذا العمل ؟ كنا نستطيع ان نقبل هذا ونسميه تضحية لو ان المعلم كان محسنا الى صانعه قبل ان يصاب بهذا الحادث الذي تسبب في بتر ساقيه ، ومع ذلك فالواقع لا يقبل مثل هذا التصرف .

وفي بعض اقاصيصه عناية خاصة بابراز العواطف وتصوير طغيانها على كل ما يعترض طريقها من تقاليد اجتماعية واعراف سائدة ، وربما بدا لنا ذلك واضحا في اقصوصة : « يا سادة يا كرام » في هذه القصة تفر الفتاة حليمة من القرية ويسدل الستار على الضجة التي أثارها اختفاؤها وخطؤها . وبعد غياب عشر سنوات وبينما كان والدها جالسا الى طعامه جاءته خادمته ام الخير واخبرته بان حليمة عادت وهي عندها في البيت تعاني آلام الموت وتريد ان ترى والدها لتجود بروحها بين يديه . وهنا يثور الوالد وتصطرع في نفسه شتى الانفعالات ، ولكن عاطفة الابوة تتغلب آخر الامر فتسوقه قدماه الى بيت خادمته المتواضع ليشاهد ابنته المحتضرة وليضمها الى صدره كما كان يفعل أيام طفولتها .

في قصة يا سادة يا كرام قضية اجتماعية عالجها تيمور بطريقة مختلفة عن تلك الطرق التي اعتاد علينا كتابنا فعاطفة الابوة تسيطر على نفس الشيخ صفوان متغلبة على كل شيء . ولكن الذي يبدو ان انسانا من هذا النوع سيلاقي اعراضا من المجتمع المتمسك بتقاليده ، هذا ما اراد ان يقوله محمود تيمور حين جعل خطيب الجمعة في القرية يحث على العفة والتمسك بالشرف مما أثار انفعال الشيخ صفوان فوقع مغشيا عليه .

وربما استطعنا ان نضيف الى القصص التي عنيت بابراز العواطف قصة « الرهان » التي تحكي لنا بعض ما يلاقيه المستقيمون ذوو المواهب من مرضى النفوس والانانيين ، فالطالب سليم كان طالبا متفوقا قوي الاسلوب يشهد له بذلك رفاقه كلهم الا مجدي الذي كان دائم الطعن عليه والتشهير به والانتقاص من مواهبه . وفي احد الايام يرسل سليم مقالا رائعا الى احدى الصحف ويعتقد مع رفاقه المخلصين انه سينشر ولكن مجدي يراهن سليما على انه لن ينشر ولا ندري كيف تتم المؤامرة فينشر المقال ولكن بقلم رئيس التحرير وكان باستطاعة سليم ان يروي لرئيس الصحيفة ما حدث ولكن شفقته حالت بينه وبين ايذاء رجل متداع محطم مثل رئيس تحرير الصحيفة الذي علم سليم من منظره انه انسان يستحق الرثاء . ومن القصص التي يغالط فيها تيمور الواقع ويتجاوز منطق الاحداث الى نوع من الخلق الفني الذي يقترب من الاساطير اقصوصة العودة .

في هذه القصة تطالعنا ام زيان ، امرأة سيئة الحظ غريبة الاطوار تصاب بفقد ابنائها جميعا ولا يبقى لديها ما تتعزى به سوى طفل صغير خلفته ابنتها التي توفيت ايضا ، وبينما كانت المرأة تعيش مع هذا الطفل مكرسة كل جهدها من أجل تربيته واسعاده وبعد ان بلغ من العمر سبع سنوات يباغتها والده بأخذه الى القاهرة واعدا اياها بأن يحضره لزيارتها في كل عيد ويغيب « الغالي » عن جدته عشر سنوات كاملة تظل خلالها ولا هم لها الا التفكير فيه وبعودته ، وكانت لا تفتأ ترسل له الهدايا بين الحين والآخر كما ترسل له الدراهم غير عالمة ان الغالي لا يصل اليه شيء مما تجهد نفسها بارساله . وتعلم اخيرا ان الغالي سيأتي لزيارتها فتأخذ باعداد الهدايا له كما يعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الانسان لطفل لا يتجاوز سبع سنوات ، ولم تفكر مطلقا بأن الطفل الذي غادر القرية قبل عشر سنوات قد اصبح شابا في السابعة عشرة من العمر ، لم يخطر في بالها مطلقا انه غدا شابا ، فاعدت لـه بعض الجلابيب الصغيرة وحصانا خشبيا .. ولما حضر « الغالي » مع والده لم تعرفه ام زيان وسألت والده باستغراب أين الغالي ؟ وحين علمت ان الشاب الذي امامها هو الغالي اضطربت ! ان الحفيد الشاب لم يستطع ان يحتل في قلب الجدة مكان الحفيد الطفل .

لم يقل لنا محمود تيمور ان ام زيان قد اصابتها لوثة بعد كل الذي مر معها من احداث وبشكل خاص بعد ان ابتعد عنها حفيدها ، كل الذي تبدى لنا من خلال القصة انها كانت شديدة التعلق بالطفل ولكنها على الرغم من ذلـك استطاعت ان تحتفظ بضبط النفس . والانسان الذي يتمكن من التغلب على عواطفه امام الآخرين انسان عاقل جدا فكيف لا يدرك الانسان العاقل ان الزمن له تأثيره على الافراد ، ثم ألم يكن من الممكن ان تتعلق الجدة بصورة الحفيد الشاب بدلا من صورة الحفيد الطفل ، خاصة وانها كانت تحلم بشبابه المرتقب قبل ان يغادر القرية الى المدينة وتحكي له كيف سيغدو شابا ويطر شاربه .

تيمور يبتعد عن الواقع اذا في بعض اقاصيصه ولكن هذا لا يعد شيئا اذا تذكرنا مهارته في تحليل النفوس ورسم الشخصيات وابراز العواطف الانسانية بالاضافة الى قوة البنـاء الفني في جميع هـذه الاقاصيص .

دمشق — سكينة الشهابي

•

ثـلاثـة مكعبـات

ديوان فكر – للشاعرة هدى أديب – ١٢٥ صفحة – طبعته المؤسسة التجارية للطباعة والنشر ببيروت عام ١٩٧١

هذا الديوان ظاهرة جديدة من أدب الشاعـرة « هـدى ألبير أديب » تنشئه بلغة عربية سليمة ، بعـد ان اصدرت ديوانيهـا السابقين بالفرنسية « جملة معترضة » ١٩٦٩ و « وقفة قلقة » ١٩٧٠ .

واكاد اعد هذه الظاهرة عودة الى النبع الشعري الحالم في حياة الكلمة العربية التي تتراءى في اعماق هذا النبع ، وكأنها اللآلىء التي تكشفت عنها المحار .

وقد كان عجبي لهذا الديوان بالعربية مثـل عجبـي لسابقيه بالفرنسية ، فالمعاني تترادف ، والمشاهد تتعاور ، والالفـاظ تتراقص مغرية القارىء بخفاياها ، فقلت لنفسي هل هو ألعوبة ، فاجابت النفس بأن : نعم ، وليس هذا مقيتا في الشعر ، فالشعر كله ألعوبة ، أفلسنا نصف الكلمات فيه على غير طرق النثر ، والكلام الذي نتعاطاه . اني حين أنظم قصيدة أحسبني حينا مثل ذلك الولد الذي فتـح صندوق ألعابه واخرج المكعبات يرصفها رصفا فمرة يجعل منها منزلا ، ومـرة جسرا وآونة يغضب فيبعثرها او يرمي بها اخوته . وقد شاهدت هذا لدى اولاد بنتي « ذكاء » فهم بعد ملالهم مـن رصف المكعبات يأخذون بالتراشق بها حتى كاد صغيرهـم « رائف » يعطب جبيني بمكعبـة حديدة .

وديوان الشاعرة النابغة بنت اخي وصديقي علي العمـر الاستاذ العظيم البير اديب صنفت اليوم ديوانا مـن المكعبات فهن ثـلاث ، واحسبها ارادت بها الابعاد والثلاثة في كـل اذ لا يقـوم التجسيم والتجسيد الا على الطول والعرض والعمق . والمكعبة الواحدة تشبه حجر النرد ، لكن ليس عليها ثقور سود تدل على مقدار الحظ المرسوم على صفحة النرد . واحسبها تعود بهذه المكعبات الى الجاهلية يـوم كانوا يضربون الخطوط بحجارة مكعبة او عظام يسمونها « كعوبا » وبت اقول ما اجدرني بان اتلمس مطالع نجمي في ديوان الشاعرة التي علقت افكارها بالنجوم وكنت في سابقة عمري اقول من قصيدة :

طرحت بحظـي للزمان وشقوتـي   فمن كفـه يلقيهما حجري نـرد

على اني اجد شاعرتنا الحسناء – مد الله بعمرها السعيد – قد اخذت بالتدرج فهي اول ما صنعت واعطت العالـم الفكري ديوانيها بالفرنسية ، ثم هي اليوم تعطينا ديوانا فكريا من الكلام المنثور الـذي لا يأوي الى وزن او قافية وانما هو طلق حر يموج في حيز ليست فيه جاذبية تستولي عليه فتأسره على الارض وانما هو عائم هائم كأولئـك الرواد الفضائيين الذين يدخلون حيزا ليست فيه جاذبية فيتقلبون في الجو كما يشاؤون . وانا زعيم بأن شاعرتنا الموفقـة سيكون ديوانها الرابع شعرا منظوما مقفى تنضم به الى سلسلة الشعراء العرب الذين بنوا لغتنا ونقوها من الشوائب ، ويومئذ تجد « هدى » نفسها في هدى من الشعر والبيان المبين .

واذا عدت الى الديوان لاجد اول قطعة فيه « غرفـة الالعاب » عرفت مقدار ما سكب علي الالهام من قول في لعب الشعر ، فاجدهـا داعمة مذهبي بالصور الفنية التي ادلت بها ، بل وضعتها على مسرح التأمل والفلسفة ، وادارت حوادثها باصابع سحرية منوط بها خيوط (الفينيول) « خيال الظل » كما يسمونه في ايامنا ، فتقول :

« الشموع تحن للظلمة »

فينطلق تصوري الى شموع لا يحصى وصفها الا الشعراء العرب خاصة وقد شبهوا الانسان بها ، الانسان النافع الذي يحترق ليضيء سواه . ثم تقول :

« يد العفريت تصافح اوقات الفراغ ، قفز من علبته مسرعا ليلتهم الشوق ، ليفجر ضجيجا يلتهم السكون » الى ان تقول :

« صوتك كذبة تشتبك بحقيقتي ، اتخذتك ليلا في كوب لابـاد حيرة الاصوات ... بحت الالوان عبر جدار اللامعقول » .

فتمر بي هناك كلمة اللامعقول بصورة كبيرة .

واللامعقول يحضر لي (اوجين ايونيسكو) الذي ظهر بهذا المذهب في أيامنا واصاره حظه فيه الى ان يصبح عضوا في الاكاديمية الفرنسية وقد استقبله الكاتب العظيم « جان ديبلي » في اواخـر شباط ١٩٧١ بخطاب ممل يكاد المرء اذا قرأه يجن وكدت اجن حين حصلت عليـه منشورا في جريدة « لوموند » الفرنسية .

وان استعمال كلمة « بحت » للالوان عند الشاعرة « هـدى » اصابة رمزية وتحميل للفظ العربي بما لم تحمله ايـاه الصحراء ، فقديما راح الشاعر الخالد الاخطل الثاني يقول : « بح صوت الغزل » .

واليوم تجيء الشاعرة « هدى » فتقول بحت الالوان .

ومن شاني حين اتكلم على الشعراء العرب الذين نظموا دواويـن بالفرنسية في عصرنا كالشاعر الباقعة هيكطور خلاط والعميد عبد العزيز حبابي المغربي والشاعرة « هدى » والشاب جـان شكيب الخوري . اقول من شاني ان ارد الى العربيـة لبوسها ، اذ اجدها عريانة من نفائس حلاها ، فأحير قطعة من هذه الدواوين الـى المنظوم العربي الموزون وهانذا أصنع مثل ذلك في قطعة من القصيدة الاخيرة للشاعـرة « هدى » اذ جعلت ديوانها قصائد مكعبة هـي : « غرفة الالعاب » و « انفرط الزئبق » و « الزعانف المعطلة » :

دموع الجمـال علـى ناظريك   سأسكـن فيهـا ولا أبـرح
أأنت اعترضت لـدى موعدي   كأنـك مـن صنم تفصـح
على شفتيـك ضحوك بـدا   يعيـدك فيما بـه أفـرح
نسجت لي الرعب دربا وكـم   وصولي اليـك غـدا يجـرح
كشمس وجدتك تهوى الظـلال   لينـدى شعـاع بهـا يسبـح
على جبل الحب أروي الهـوى   وأهفـو مـع الريـح اذ أمـرح
وفي فمـي ظمـأ لا يـزول   اذا مـا ارتوى عـاد لا يجمـح

فيا ولدي يا ربيب الفؤاد   تدب على قمة تنضح
بنجوى الكلام ، بصوت الهيام   وآيتنا وجهك الاملح ...

ولست اشك بأن كلمات الشاعرة « هدى » كانت تفر امامي مثل غنمات صغار لا تريد ربضا او حبسا اذ ان مطالع كلماتها الخاصة بها تشبه مثار النجوم ونجوم السماء مبعثرة غير مرصوفة . ولو تأملت « هدى » معي بيت ابي العلاء المعري الذي يقول فيه :

ليلتي هذه عروس من الزنج   عليها قلائد من جمان

لقلت لها قصائد معلقة في اغوار السماء لكن زينتها عبقريتك النادرة بقناديل النجوم .

منذ عشر سنين قرأت في « الاديب » الاغر أبياتا للشاعرة باسمة باطولي ، ابياتا اقامتني واقعدتني وظننتها لا تزال ببلاد السواد فكتبت اليها ، فلم يصل اليها كتابي فكتبت منذ شهر اليها رسالة بعد ان حفل النادي الكاثوليكي ببيروت بأمسية من شعرها العذب العميق وقد اعلمني الحبر الاجل نيافة مطران الكاثوليك بأنه اوصل اليها رسالتي الشعرية ... ولكنها حتى الآن لم ترد .

لكن الشاعرة « هدى » السخية الندية العذبة شعرا وأصلا وتهذيبا تهدي الي آثارها فانعم في قراءتها والكتابة عنها والكلام عليها وان سيرتي اصبحت معروفة في عنادي تلقاء الشعر المرسل الحديث ولي ماجريات نقد مع صديقي نابغة هذا الشعر نزار القباني وكنت بمصر لا اتجهم لما كان يصنعه عبد الصبور والحجازي وسواهما من اصحابي ادباء الطليعة بضفاف النيل .

لكن هدى شاعرة اليوم وزهرة لبنان المتالق اصبحت ثمرة فكر لا تزول حلاوتها ولا يفوت نضجها ، تفتحت في روض معطار هو روض الصديق الاستاذ ألبير أديب عماد الادب وموئل الادباء .

دمشق   زكي المحاسني

•

الامير مصطفى الشهابي

تاليف الدكتور عدنان الخطيب ـ ٥٦ صفحة ـ منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ مطبعة الترقي بدمشق

في رأيي ان التأريخ لرجال الفكر من الذين اوتوا نصيبا من العلم ، ليس سهلا ، كما يبدو ، امام من يستهين بهذا العمل الجاد .

وفي رأيي كذلك ، ان الوفاء ليس سهلا ايضا ، ازاء الذين رحلوا من علمائنا ، واصبحوا سيرة ، يقول الناس فيهم ما يقولون دون جزاء او مجاملة ...

غير ان الدكتور عدنان الخطيب الذي وفى لاستاذه الامير مصطفى الشهابي ، بهذه السيرة العطرة في هذه الصفحات التي تفيض عرفانا برجل لعب دورا كبيرا في لغتنا العربية ، قد خالف القاعدة ، وسار على غير نهج المجاملين الذين يبغون النفع ، وينتظرون الجزاء ...

فالمجاملة في مذهبه ، تكون للاحياء وغيرهم ممن ودعونا وآثروا حياتهم الباقية ، دون كلمة تقال ، او جميل يحسب له الف حساب في اعراف التجارة الادبية ، ومكاسبها الثرة المعطاء !!.

ولقد عجبت كيف تكون المجاملة المجردة ، نحو ادباء مصر ، واعضاء المجامع اللغوية في رأي الاديب الكبير ... فحين طالعت سيرة الاستاذ احمد حسن الزيات : العضو المصري بالمجمع السوري ، عرفت ان الدافع للمؤرخ ، ان هو الا تعريف الادباء بسيرة ذلك الرجل ، واطلاعهم على ما أدى من خدمات ، تحسب له ، او تحسب عليه في جملة التاريخ، او حساب العمل الادبي الذي تصدى له في ذلك الزمان ..!!

اما مجاملة الاحياء ، فاكثر من ان اوفيها حظها من السرد والبيان ... اذ يكفي فيها : ان الدكتور الخطيب يدفع دفعا الى تناول من يكون تحت يده منهم ويبادله حبا بحب ، ويقارعه قلما بقلم ، ان لم يأت عليه فيقف واياه ، في حلبة النضال الادبي ، على ساق وقدم ، غير هياب له ، او جانح الى التضاؤل او الانكماش ...

ويتجلى رأي الاديب الكبير في تناول الادباء الكبار ، فنحن حين نقرأ سيرة المجمعيين : كرد علي ، او عبد القادر المغربي ، او مصطفى الشهابي ، او نطالع علماء دمشق : ابن تيمية، او بدر الدين الحسني، او الشيخ طاهر الجزائري ، او الشيخ عبد القادر الخطيب ، او سعيد الباني ، انما نحس ما املاه العرفان ، او نلمس اسطورة هذا الوفاء ، حيث عزت الاساطير ...

وكيف لا يفي الدكتور عدنان نحو رجل الف اثني عشر كتابا ، ونظر في اكثر من كتاب ، وخلف من الدراسات والبحوث في اللغة والاصطلاحات ، ما اربى على الخمسين ، وترك نحوا من ثلاثة عشر بحثا علميا ، ونشر ما ينيف على الخمسة والثلاثين ما بين مقالة علمية وادبية وفلسفية ، غير المحاضرات والاحاديث التي القاها الامير في الندوات العامة وتزيد على الثلاثين ، فضلا عن مراسلاته الادبية ، وتحقيقاته التي تحفظها له المجامع اللغوية ، سواء في اضابيرها ، او عند الخلصاء من صحابة الفقيد ... ولئن كان التقدير بالامانة التاريخية فيه الفنية ، فان في المساق الادبي ، والمداخل الرابطة ، ما يساند البحث ويعطيه من العظمة ما يكفل له الدوام ، ويدفع الى مطالعته ...

ومن اولى بالامانة ، واقدر على المساق من العالم الدكتور عدنان ، فيكفي في رأيي ، ان يقول مؤرخا للامير الشهابي :

« بدأ الفقيد حياته على فترة من الزمن دالت فيها دولة العرب ، فتسربت الرطانة الى لغة الناس ، واستعجمت خلالها لغة الدواوين والعمال حتى اذا ما تطلع الغيارى على الفصحى الى من يحمل عبء الحفاظ على لغة القرآن ، تقدم الفقيد وزملاء له عاقبين الطلائع من الرجال ، فحملوا الامانة ووفوا أم اللغات حقها عليهم ، فكان وكانوا اعلام النهضة العربية الحديثة » .

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات

الازياء والموضة الاوروبية

تجدونه في

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

http://Archivebeta.Sakhrit.com

على انني لو اجهدت نفسي في اظهار حسنات هذا التاريخ ، لما وفيت الدكتور عدنان حقه ، ولما اطلعت القراء على نوع من التاريخ الادبي جديد ، وان كانت نظرة عجلى الى هذه الدراسة الفذة ، تعطينا ما ألم بالمؤلف من نصب ، وما كابد من مشقة ، سواء عند جمع المراجع او عند الصياغة الادبية الواعية .

القاهرة **أبو طالب زيان**

•

مختارات من شعر ونثر الدكتور توفيق سلوم

جمع واعداد : سعاد سلوم نصير ـ ١٦٩ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الف باء الاديب بدمشق

ما اكثر الذين يرحلون عن هذه الحياة من الادباء والشعراء ، ويتركون نتاجا ادبيا ضخما ، يحتاج الى يد امينة مخلصة وفية تزيح عنه الغبار، وتنقله الى عالم النور ، ليستفيد منه الآخرون . وعندما لا تتوفر هذه اليد البارة في أسرة الاديب الراحل ، يتنادى اصدقاؤه ، ومحبوه ، ومقدرو ادبه لجمع آثاره وطباعتها ، واحيانا تتولى الدول هذه المهمة : كالمجامع العلمية ووزارات الثقافة ، والاعلام ، والتربية ..

اما الدكتور توفيق سلوم (الحمصي) فلم تنتظر ابنته السيدة سعاد من جهة ما ان تقوم بطبع أشعار والدها ومواعظه وخطاباته التي تركها عندما توفي في ٣١ ايار ١٩٥٦ ، بل قامت هي بجمعها واعدادها وترتيبها وتنسيقها ثم طباعتها تحت عنوان « مختارات من شعر ونشر الدكتور توفيق سلوم » وقدمتها الى والدتها الحنونة .

لقد ندبت نفسها لهذه المهمة ، لما كان بينها وبين ابيها من صلات ودية وثيقة ، ومرافقة دائمة ، فهي اكثر اخوتها ملازمة له ، رافقته « في وقت صمم فيه على اراحة نفسه من عناء مهنة ، وان كانت شيقة انسانية ، الا انها شاقة ومضنية ... » . وهكذا صار لديها مجال واسع يمكنها من متعة مرافقته والالمام بشخصيته الفنية الواسعة الاطلاع ، الكثيرة المعارف العميقة التفكير كما تقول ... وتعود في هذه المقدمة القصيرة التي اثبتتها في مستهل الكتاب الى ذكرياتها معه يوم كانت طالبة في المدرسة « وان أنس فلن أنسى عودتي في المساء من المدرسة وهو ينتظرني ... كانت لنا معا جلسات وجلسات ، أنهل منها ما طاب لي ان انهل من بحره العميق ، مشوقة الى ما يقصه علي من قصصه وذكرياته . عن ماض قريب وماض بعيد ، وماض ابعد ، منذهلة لوفرة اطلاعه ، وسعة افقه ، وذاكرته الفريدة ... فما ان الح له بذلك حتم يبتسم لي ابتسامته العذبة الرقيقة ، وبها شيء من الاستحياء والتواضع قائلا : كل فتاة بأبيها معجبة » .

اما حياته فقد دبجتها يراعة الشاعر الحمصي الرقيق وجيه الخوري ـ ابن عمته ـ سرد فيها سيرته منذ ولادته في حماه سنة ١٨٧٢ وحتى وفاته في دمشق سنة ١٩٥٦ مارا بأبرز احداث حياته ، كدراسته على اخيه انيس سلوم ـ عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ـ باديء ذي بدء ، ثم ارساله اياه الى الجامعة الاميركية لدراسة الطب ، وتردده بين الاستانة وبيروت حتى استقر اخيرا في الثانية ، وقد عمل خلال تلك الفترة بالتعليم في مدرستي بشمزين وبطرام في الكورة بلبنان ، الى ان نال شهادة بكالوريوس علوم سنة ١٨٩٢ وكان خطيب حفلة توزيع الشهادات ، اما شهادة الطب فقد نالها سنة ١٨٩٦ ، وكان هذه المرة ايضا خطيب المتخرجين ، حيث القى ارجوزته المشهورة في « الصحة » ... ويبدو انه كان من المتفوقين جدا ، اذ احرز شهادة الامتياز في الجراحة والتشريح والكيمياء والمواد الطبيعية ، هذه الشهادة التي اثبتت بنصها الانكليزي في الكتاب ، وما تزال محفوظة في سجلات الجامعة الاميركية .

عمل المرحوم الدكتور سلوم بعد تخرجه طبيبا في حمص ، ثم انتقل الى حماه ، ولكن الحكومة العثمانية جندته سنة ١٩١٤ ولحسن حظه بقيت خدمته محصورة بين عاليه وسوق الغرب وبيت الدين وبكفيا ، وبعد تخلصه من الخدمة في الدولة العثمانية عاد الى حماه سنة ١٩١٩ ، فعمل مديرا للصحة فيها ، كما أسس مشفى صغيرا ، وظل في هذه الوظيفة حتى بلغ الستين ، وحصل على تقاعده سنة ١٩٣٣ ، فغادر حماه الى دمشق ، وافتتح عيادة في منزله ، وخصص يوما لمعالجة الفقراء مجانا .

نال المترجم له عدة اوسمة منها الوسام الفضي العثماني ، ووسام الاستحقاق السوري من الدرجة الثانية ، واوسمة اخرى من البطريرك الكسندروس طحان ، والمحافل البروتستانتية التي كان شيخا في عمدتها.

معظم شعره ونثره قيل في مناسبات دينية واجتماعية وقومية ، ولا غرو فشعر المناسبات كان وحده الرائج في تلك الفترة التي عاشها وما قبلها ، الا ان هذا لا يعني خلو شعره ونثره من ومضات مشرقة ، ولمحات مضيئة تبرز فيها اصالته ككاتب ويظهر ذوقه كشاعر ، وحكمته كرجل خبر الحياة وحنكته التجارب ، فلنسمعه يقول في قصيدة تحت عنوان « بلادي » نظمت في نيسان سنة ١٨٩١ :

ما مر ذكر احبتي بفؤادي	الا وذبت تشوقا لبلادي
هيهات افتر لحظة عن ذكرها	تيك الديار وذكر ذاك الوادي
وجمال « عاصيه» الذي قد تاه في	برد الفخار باسهل ووهاد
لله موقعها وبهجتها ومو	قع كل صقع مثلها او نادي

ومن حكمته الناضجة قوله :

اياك ان تبغي الحياة سعيدة	الا بتقوى الله والخلق الحسن
فالعلم والرتب العلية والغنى	كم كان اسباب التعاسة والمحن

وله قصائد اخرى في الغزل والصحة ، والحرب ، والتاريخ الشعري ، والنبات والمداعبات ، والاعتماد على النفس ، والرثاء ،

صدر حديثا

ثلاثة مكعبات

شعر

هدى اديب

توزيع دار الكتاب اللبناني

ص. ب ٣١٧٦ ـ بيروت

تلفون ٢٨٣١٢٨ ـ ٢٨٨٧٩٢ ـ ٢٨١١٩٢

الثمن ٣٠٠ ق. ل. او ما يعادلها

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والتهنئة لاصدقائه ، وكلها تنم عن الذوق الذي كان سائـــدا في تلـك الفترة الزمنية المظلمة التي اعقبت عصور الانحطاط في الادب العربي ، وهذه القصائد والمقطوعات النثرية التي كتبهـــا في موضوعات طبيـــة ودينية ووعظية يغلب عليها الطابع العلمي والروح العقلية ، وهي تكاد تخلو من الصور المشرقة واللوحات الشعرية الرائعة الا في بعض المواضع القليلة التي كانت بمثابة واحات في صحارى العلم والعقل .

ولم تنس السيدة سعاد ان تضم الى ذيل الكتاب مـــا قيـــل في والدها من مراث كمرثاة اخيها عرفان ، ومرثاتهـــا ، ومرثاة الشاعـر وجيه الخوري .

واخيرا لا يسعنا الا ان نشكر السيدة سعاد سلوم نصير علـــى الجهد الذي بذلته لتحقيق هذا العمل المتلـــيء برا ووفاء وعرفانـا بالجميل .

دمشق — عيسى فتوح

•

حكايات عـــن الارض والانسان

تاليف فوز الديـــن البسومـــي – ١٤٤ صفحـــة – منشورات دار الشبيبـة ببيـروت

صدر للاخ الصحفي فوز الدين البسومي كتابه الاول حكايات عن الارض والانسان عن دار الشبيبة في بيروت ، ويقـــع الكتاب في ١٤٤ صفحـة تحتوي على ٤٤ حكاية . تصور واقعا حياتيا لشعب فقد ارضه ووطنه وتشرد في الاصقاع مغتربا باحثا عن اللقمـــة والماوى . هـــذا الشعب المغترب هل نسي وطنه بعد رحيله الاجباري عن الوطن ؟ الجيل الجديد الذي ولد خارج الوطن المحتل هل نسي هو الاخر وطنه الذي لم يـره ولا يعرف عنه شيئا الا من الكتب والمجلات والجرائد ؟ هذا الجيـل الذي توهم العدو الغاصب انه لن يطالب بارض لم يعرفها ، هكذا كانت توقعات قادتهم .. قالوا ان الجيل القديم سينسى او ينقرض والجيل الجديد لم يعرف بلده اصلا فهو لن يطالب بها .. لكن فالهم خـــاب وتوقعاتهم فشلت ، واثبت جيل النفي هذا انه اشد شوقا لمعرفة وطنه الذي حرم منه ..

يدخل الصغير على والده وهو يبكي فيساله عما به فيقول :

– لقد اضعت المفتاح ..

– اي مفتـــاح يا بني ؟

– مفتاح بيتنا في الرملة .

هذا الصغير يعرف انه من الرملة ولكنه لا يعرف الرملة ، لذلـك نراه يبكي ويصرخ لانه فقد مفتاح البيت الـــذي يمني نفسه بالعودة اليه . ان شوقا منفرسا في نفوس هؤلاء الصغار لرؤية وطنهم الـــذي حرمهم من رؤيته القدر .. ان البعد والغربة قد عمقا الماساة في نفس الانسان الفلسطيني لذلك نرى الكاتب يصور مأساة شعبـــه بشفافية حزينة مؤلمة .

في يوم من ايام عيد حزين لم يجد مـــن يبتهج بمقدمه .. كانت قدماه تسوقانه في شوارع عمان حيث كان احد الباعة يصيح مناديـــا باعلى صوته على حلاوته ..

تذكر انه كان يشتري الحلاوة ويتلذذ باكلها – ايام العز – دنـــا من البائع وساله : من اين انت ؟ اجاب من الرملة ..

وبلهفة اشترى كمية من الحلاوة وضعها في لفافة وهرع لاولاده كي يطعمهم من حلاوة الرملة .. ويلقـــي باللفافة لاولاده فرحـــا .. يا اولاد : هذه حلاوة الرملة .. فيجيب الابن الصغير .. نحن لا نريد حلاوة الرملة نحن نريد ان نرى الرملة .. يريـــد الرملة بترابها .. وبياراتها ورمالها . ان شوقه المنغرس في نفسه يغذيه مع الايام شعوره بالغربة والضياع . سيدفعه حتما للعودة او لمحاولة العودة على الاقل .

ويوما ما سيعود هذا الجيل الى الرملة وحيفا ويافا .. منطـــق التاريخ يقول هذا . خصوصا وان هذا الجيل قد وجد نفسه . لـــم يعد ضائعا تائها .. هناك من يعلمه ويرشده ويقوده الى الطريق التي سيعود من خلالها الى ارض افتقدها مدة طويلة .

يسال الاب ابنه الصامت الواجم :

– بماذا تفكر يا بني ..

فيجيبه هذا : بالواجب ..

وما اشد دهشة الوالد .. هذا الصغير يفكر بالواجب .. تـرى ما هو الواجب الذي يتعب عقله الصغير بالتفكير به ..

– كان يجب ان اكون هناك .. في معسكـــر الاشبال .. فالاخ ابو علي – وابو علي هذا شبل صغير لم يتعد العاشرة من عمره – قـد دعانا للتدرب على القفزة الجديدة ..

لا شك ان جيلا كهذا ليس بكثير عليـــه ان يحقـــق نصرا وان يسترد ارضا ..

في ليلة يحدث الوالد ابنه عن يافا وحيفا والبيارات والبرتقـال فيسال الابن : هل هي جميلة ويجيبه الاب نعم لكن اليهود يقطفـــون ثمارها ..

فيصرخ الولد بعفوية ..

– اولاد الكلـب .

عمان – الاردن — مصطفى صالح

طـالعـوا مجلـــة

البيان

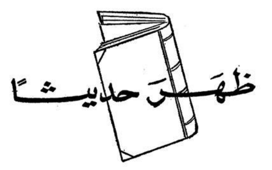
تصدرها في مطلع كل شهر

رابطـــة الادبـــاء في الكويت

•

تطلب في بيروت مـــن مكتبة الروكسي

اول طريق الشام – بناية روكسي



- شجرة التوت ـ تاليف انجس ويليسون ـ ترجمة وتقديم الدكتور عادل سلامة ـ ١٨٤ صفحة ـ الكتاب ٢١ من السلسلة الشهرية « من المسرح العالمي » عدد يونيه ١٩٧١ ـ منشورات وزارة الاعلام بالكويت ـ مطبعة حكومة الكويت .
- محاورات المساء ـ كتاب فلسفي باسلوب قصصي مسرحي ـ تاليف محفوظ ايوب ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق ـ مطبعة الاداب والعلوم بدمشق .
- تذكرة سفر الى لبنان ـ دليل سياحي وتاريخي ـ تاليف نجيب البعيني ـ ٢٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (صدر في بيروت) .
- رسالة قداسة البابا بولس السادس لمناسبة الذكرى الثمانين لرسالة البابا لاون الثالث عشر العامة في شؤون العمال ـ ترجمة اسرة « الشراع » ـ ٦٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات جريدة الشراع ـ مطابع قرطباوي في عاليه لبنان .
- معجم رقص السماح ـ تاليف عدنان بن ذريل ـ تقديم محمد كامل القدسي ـ ٩٢ صفحة ـ مطابع الف باء \ الاديب بدمشق .
- المسرح السوري منذ ابي خليل القباني الى اليوم تاليف عدنان بن ذريل ـ ١٥٢ صفحة ـ (صدر في دمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الفسق ـ مجموعة شعرية ـ هند نوري العبدان ـ تصميم وتنفيذ: م. الدمياطي ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات مكتب الدمياطي للطباعة والنشر بالقاهرة ـ مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر بالقاهرة .
- ديوان ابي نواس ـ حققه وقدم له فوزي عطوي ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- ولم تمطري يا غيوم ـ مجموعة شعرية ـ دعد الكيالي ـ ٢٠٠ صفحة ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .
- بحوث ومناقشات ـ تاليف زيد بن عبد العزيز بن فياض ـ ١٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الدين والعلم ـ تاليف زيد بن عبد العزيز بن فياض ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات دار الاندلس ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- كتاب الجغرافيا ـ لابي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ـ حققه ووضع مقدمته وعلق عليه : اسماعيل العربي ـ ٢٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة ذخائر التراث العربي ـ منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- بحوث في الربا ـ تاليف محمد ابو زهرة ـ ٩٦ صفحة ـ سلسلة مفاهيم اقتصادية ـ منشورات دار البحوث العلمية بالكويت ـ مطابع دار القلم ببيروت .
- الفهرس الهجائي لكتاب المغني لابن قدامة في فقه الامام احمد بن حنبل ـ صنعه محمد سليمان الاشقر ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار البحوث العلمية بالكويت ـ مطابع دار القلم ببيروت .
- الاسلام يتحدى ـ تاليف وحيد الدين خان ـ تعريب ظفر الاسلام خان ـ مراجعة وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار البحوث العلمية بالكويت ـ مطابع دار الكتب ببيروت .
- القرآن والقصة الحديثة ـ تاليف محمد كامل حسن المحامي ـ ١٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار البحوث العلمية بالكويت ـ مطابع دار الكتب ببيروت .
- الوليمة ـ مجموعة قصص ـ تاليف اسكندر لوقا ـ رسوم الغلاف للجينه الاصيل ـ ١٠٠ صفحة ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق ـ مطابع الف باء \ الاديب بدمشق .
- دراسات في الادب العربي الحديث ـ تاليف الدكتور عطية عامر ـ ١٦٠ صفحة ـ سلسلة الكتاب العربي ـ منشورات دار المغرب العربي بتونس ـ مطبعة الشلي في سوسة تونس .
- جاسوسة صهيون ـ قصة ـ تاليف جميلة الملايلي ـ لوحة الغلاف لشريفة فتحي ـ ٧٦ صفحة ـ (صدر في القاهرة) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الحضارة والحرية : دراسات في الانسان والتطور الحضاري ـ تاليف اميل توفيق ـ تصدير احمد خاكي ـ لوحة الغلاف لمصطفى بط ـ ١٧٦ صفحة ـ منشورات دار الفكر الحديث للطبع والنشر بالقاهرة ـ مطبعة دار العلم للطباعة بالقاهرة .
- وجوه في الزحام ـ قصة ـ تاليف فاطمة يوسف العلي ـ مصمم الغلاف والرسوم الداخلية طلعت يوسف ـ ١٣٦ صفحة ـ مطبعة حكومة الكويت .
- الاخطل الكبير : حياته وشخصيته وقيمته الفنية ـ تاليف الدكتور فخر الدين قباوة المدرس للنحو والادب في جامعة حلب ـ ٣٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ دار الاصمعي للنشر والتوزيع بحلب ـ مطبعة الاصيل بحلب .
- سفراء بدون تكليف رسمي ـ اعداد وتقديم عبد الله يوركي حلاق صاحب مجلة الضاد ـ ٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الضاد بحلب.
- موسوعة العتبات المقدسة : قسم القدس ـ تاليف جعفر الخليلي ـ المجلد الاول ـ ٢٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ المجلد الثاني ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المعارف ببغداد ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- احاديث العشيات ـ مجموعة محاضرات ـ تاليف الدكتور عبد السلام العجيلي ـ مصمم الغلاف غازي الخالدي ـ طبعة ثانية ـ ٢٠٤ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة بدمشق ـ مطبعة وزارة الثقافة بدمشق .
- مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم ، المعروف بالثلاثين مسالة ـ لاحمد بن الحسن الرصاص ـ اعده للطبع وقدم له الدكتور محمد عبد السلام كفافي استاذ الاداب الاسلامية بجامعتي القاهرة وبيروت العربية ـ ٢٨ صفحة و ١٤ صفحة باللغة الانجليزية ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ مطابع دار الاحد (البحيري اخوان) بيروت .
- من الوجهة الجغرافية : دراسة في التراث العربي ـ تاليف الدكتور محمد محمود الصياد رئيس قسم الجغرافية بجامعتي عين شمس وبيروت العربية ـ ١٣٦ صفحة و٤٤ صفحة باللغة الانجليزية ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ مطابع دار الاحد (البحيري اخوان) بيروت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com